٢٦٤

HARLEQUIN

روايات احلام

صرخة قلب

هيلين بيانشين

www.elromancia.com
مرموريـة

صرخة قلب

لقد وقعت في حب زوجها! فأين الخطأ؟

زواج هانا بميغيل سانتانا أمّن لها حياة آمنة، مميزة.. فقد كانت تدير أعمالها في النهار، وتقضي الليالي مع زوجها الجذاب...

ولكن هذا الزواج «الكامل» كان مجرد عقد اجتماعي يوحّد عائلتين قويتين ولم يكن للحب فيه يد ودور...

ثم أخذ شيء ما يتسلل إلى قلب هانا... فالغيرة من اهتمام كاميل بميغيل تنهشها... فماذا يحدث لهانا؟

هل يعني هذا أنها تشعر بأكثر مما اتفقا عليه؟

هيلين بيانشين

ولدت هيلين في نيوزيلندا وسافرت إلى أستراليا قبل أن تتزوج من زوجها الإيطالي الأصل. بعد مضي ثلاث سنوات على زواجهما عادا برفقة ابنتهما إلى نيوزيلندا حيث أنجبا صبيّين. ثم عادت العائلة لتستقرّ في استراليا. شجّعها بعض الأصدقاء على الكتابة عن المواقف الطريفة التي واجهتها في الفترة التي عاشت فيها كزوجة صاحب مزرعة لانتاج التبغ، في مجتمع إيطالي. هكذا بدأت هيلين حياتها ككاتبة روائية وصدر كتابها الأول سنة ١٩٧٥.

تحب هيلين الحيوانات وتمتلك كلبة وهرّة يعتبران مكتبها ملعباً لهما.

تهوى المؤلفة الشهيرة هيلين بيانشين الكتابة عن التوتر العاطفي بين الأزواج بما فيه من شغف وصراع ورومنسية! وغالباً ما يكون الزواج موضوع قصصها!

١ ـ ظهور الأفعى

كانت السماء الرمادية الملبدة بالغيوم تختزن شحنة كهربائية ثقيلة، توشك أن تطلق عاصفة متنافرة الأصوات في أيّ لحظة.

أضاءت هانا أنوار السيارة، وأجفلت عندما شق وميض البرق السماء، ليتبعه بعد ثوان هدير الرعد.

كان بإمكانها، تقريباً، أن تشم رائحة المطر الوشيك. وبعد لحظات هطلت قطرات ضخمة صدمت الزجاج الأمامي وتحولت إلى طوفان متزايد السرعة جعل من قيادة السيارة أمراً بالغ الخطورة.

أفلتت شتيمة مكتومة من بين شفتيها. عاصفة صيفية خلال ساعات الزحام القصوى هو ما تحتاج إليه تماماً. وكأنها ليست متأخرة عن موعدها.

سوف يُسر ميغيل لهذا التأخير.

وكأنما بإشارة خاصة، رن جرس الهاتف النقال، فشغلت زر مكبر الصوت.

إنساب صوت رجل بلكنة خفيفة ناعمة تثير في الجسم قشعريرة باردة: «أين أنت بحق الجحيم؟».

أذكر الشيطان! وردت بسخرية مريرة: «قلقك يغمرني».

ـ ردي على السؤال.

انهمار المطر بكثافة خفف من القدرة على الرؤية إلى درجة أحست

معها أنها معزولة في قوقعة.

ـ عالقة في زحمة السير.

مرت بضع ثوان من الصمت، فتخيّلته وهو يتفحص ساعته: «أين.. بالتحديد؟».

وباندفاع شابه مرح خبيث قالت: «وهل يهم؟ أشك في أنك تستطيع ترتيب طريقة ما لإخراجي من هنا».

كان ميغيل سانتاناس قانوناً بنفسه. وهو واسع الثراء ولديه من السلطة ما يكفي ليأمر من يشاء.

ولد في الأندلس، وتعلم في باريس، وأمضى سنوات عدة مستقراً في نيويورك، يدير فرع اميركا الشمالية من امبراطورية والده.

قال ميغيل بجفاء: «كان يمكن أن تقفلي «المتجر» في وقت مبكر. وبهذا تتجنبين أسوأ ساعات الزحام، وكنت لتصلي الآن إلى البيت».

وأحست ببداية الغضب.

فالبوتيك لها. وقد درست الفنون والتصميم، وعملت في دور الأزياء في باريس وروما، لكنها خرجت من علاقة حب كارثية منذ ثلاث سنوات وعادت إلى وطنها. خلال أشهر، حصلت على ترخيص تجاري، وملأت البوتيك بملابس فاخرة وراقية التصاميم.. وفي سن السابعة والعشرين، أسست لنفسها زبائن حصريين.

ردت بسخرية ظاهرة: «أشك في أن واحدة من أفضل زبائني سترحب بطردي لها من الباب».

قال ميغيل متشدقاً: «ما الذي جعلني أظن أنك سترتدين عباءة ربة البيت؟».

أخذت نفساً عميقاً، وزفرت ببطء: «أنا لم أعدك بالطاعة».

ـ أذكر جيداً إصرارك على حذف هذه الكلمة من قسم زواجنا.

ذكرته، وهي تعي جيداً ظروف زواجهما: «لقد عقدنا اتفاقية».

شخصان شهيران، ثريان كل بمفرده، وعائلتان تختلط ثروتاهما في مزيج عالمي من الأعمال. فما هي الطريقة المثلى لتقوية هذا المزيج وتمريره إلى الجيل التالي، غير أن يتزوج ابن إحدى العائلتين من ابنة العائلة الأخرى؟

لقد تطلب الأمر مناورات ماكرة لإقناع الابن بالرحيل من ميلبورن إلى نيويورك، حيث وضعت خطة للتأكد من أن ينزل ميغيل وهانا ضيفين دائمين على مختلف المناسبات الاجتماعية.

الخطة «الأبوية» الرئيسية شملت دفع رشاوى كبيرة لوسائل للإعلام، ثم دفع العائلتين الى تدخل أكبر.

وأضافت هانا، التي تعبت من التعامل مع بعض مشاهير المدينة، وغير المشاهير، من العزاب.. ثرائها الخاص إلى ثرائهم، ولم يكن في نيّتها أن تنفر من الزواج المعروض.. شرط أن تستمر في المحافظة على استقلاليتها.. ولما لم يكن للحب أهمية كبيرة عندها بدا من المنطقي أن تختار زوجاً بعقلها، لا بقلبها.

وبالرغم من الصلات العائلية في العمل، وعشر سنوات من فارق السن، والتعلم في مدرسة داخلية، في أوستراليا وعبر البحار، فقد تأكدت أن طريقيهما بالكاد يلتقيان.. وهي لم تكن سوى فتاة في الحادية عشرة حين انتقل إلى نيويورك.

وقال ميغيل متشدقاً: «هذا ما فعلناه.. فهل لديك سبب للتذمر «آمانتي»».

ردت بهدوء: «لا».

كان ميغيل رجلاً جذاباً، قسمات وجهه شديدة الرجولة، طويل القامة عريض الكتفين، يتميّز بقوة مكبوتة، يزيدها بروزاً مسحة من الإثارة المستترة وإحساس حيواني بالقوة.

في السابعة والثلاثين، كان يردد صدى نجاحه في عمله داخل غرفة

النوم. لا يمكن أن يكون له مثيل في الحب، فهو يرضي حاجات فيها لم تكن تشعر بوجودها.

ومجرد التفكير في علاقتهما يجعل أعصابها تتأهب، ويرسل الحرارة الملتهبة في شرايينها.

صوت زمور قوي مفاجيء أنار انتباهها، وانطلقت السيارة التي أمامها بسرعة ثم توقفت.

من مسافة بعيدة، سمعت عويل صفارة إنذار وسرعان ما تبعتها صفارة أخرى.. والتوت معدتها وهي تتصور حصول حادث اصطدام تكون نتيجته وقوع إصابات.

قالت هانا عبر الهاتف بهدوء: «أعتقد أن هناك حادث. وقد يلزمني وقت لتجاوزه».

سأل ميغيل: «أين أنت؟».

ـ في شارع «توراك»، على بعد ميل من المنزل.

ـ قودي بحذر.. سأتصل بغرازيلا لأخبرها أننا سنتأخر.

أجابت بدلال ساحر: «افعل هذا».

لن تحصل مأساة لو وصلا متأخرين ربع ساعة بعد الوقت المحدد.. فمن المعروف أن مضيفتهما تسمح لضيوفها بالتأخر مدة ساعة، يتم خلالها تبادل الحديث مع الحضور قبل تقديم العشاء.

تغيرت أضواء إشارة السير، وابتهلت هانا بصمت شاكرة الله مع تحرك السيارات إلى الأمام ببطء.

لم يضحك لها القدر.. ونتيجة لهذا، كانت الساعة تقارب السادسة حين أدارت هانا سيارتها نحو الشارع المشجر الموصل إلى البوابات، التي تحرس المدخل المؤدي إلى منزل ميغيل الواسع، بطابقيه الاثنين.

كانت الحدائق الجميلة والمروج الخضراء تشكل الخلفية المكتملة للمسكن الكبير، البعيد عن الطريق. كان إسباني التصميم، جدرانه سميكة

مطلية بلون عاجي، ونوافذه مقنطرة مرتفعة، وسقفه من القرميد.

زادت هانا سرعة سيارتها البورش البيضاء لتصعد الطريق الداخلية المنحنية. وأوقفتها بعجلة تحت رواق واسع ذي أعمدة.

انفتح باب خشبي مزدوج لحظة نزولها من وراء المقود، وابتسمت لمدبرة المنزل التي يستخدمها ميغيل، ابتسامة دافئة وهي تدخل بهو المنزل.

ـ شكراً صوفيا.

لقد وفر عليها هذا البحث عن مفتاحها، والمرور بجهاز الأمان.

ـ هلاّ طلبت من أنطونيو أن يضع سيارتي في المرآب؟

كان زوج صوفيا يعتني بالأرض والسيارات بينما تهتم صوفيا بالطعام والمنزل خمسة أيام في الأسبوع.

ـ هل ميغيل موجود في الطابق الأعلى؟

هزت صوفيا رأسها ايجاباً فتحركت هانا بسرعة نحو السلم العريض الموصل إلى الطابق الأعلى.

بعد ثوان، وصلت إلى الرواق نصف الدائري الذي يحدّه درابزين بتصميم مزخرف. كان هناك خمس غرف للنوم لكل منها جناحها الخاص، إضافة إلى غرفة جلوس ضخمة غير رسمية في الطابق الأعلى. هناك أيضاً لوحات أصلية تزيّن الجدران، طاولات مناسبة، وجرار رائعة من السيراميك وقطع فنية موضوعة في ترتيب مهيب على طول الرواق.

كانت غرفة النوم الرئيسية في مقدمة المنزل، فتوجهت نحوها بسرعة، وهي تفك أزرار سترتها بإحدى يديها بينما راحت تخلع بالأخرى حذاءها.

بعد ثوانٍ، دخلت غرفة النوم الواسعة بأثاثها الأنيق ومن ثم غرفة الملابس المنفصلة.

كان ميغيل يزرر كم قميصه، فنظرت إليه، إلى وقفته، والبنطلون المفصل الرائع، وقميصه الأبيض، وقسماته الوسيمة وشعره الأسود

www.elromancia.com

المصفف جيداً.

لكن تحت ملامحه المهذبة ثمة قلب محارب. وأضافت متنهدة بعمق: مخضع وخطير.

في تلك اللحظة، نظر إليها، وقرأ تعبير وجهها، فرفع حاجبه بسؤال صامت.

التقت عيناه الشديدتا السواد بعينيها، وحاولت جاهدة أن تسيطر على تدفق الدم في عروقها.

هل يدرك مدى تأثيره عليها؟ الحقيقة أن تأثيره مثير دون شك.. لديه اللمسة، والمهارة، ليحوّلها إلى راغبة مجنونة، فبين ذراعيه، تفتقد القوة لأن تكون أي شيء آخر.

لامت نفسها: تماسكي. وتقدمت نحو خزانة ملابسها.

ـ هل تمهلني عشرين دقيقة؟

وانتقت فستاناً أسود يصل إلى ركبتها مع سترة قصيرة مطرزة.. وحذاء أسود عالٍ ومستدق الكعبين وجورباً أسود.. سيكون تأثير ذلك رائعاً وسيظهر لون بشرتها العسلية وشعرها الأشقر.

ـ حاولي في خمس عشرة دقيقة.

وانتهت بعد أقل من عشرين دقيقة بقليل، وظهرت في غرفة النوم، وقد استحمت، وارتدت ملابسها الداخلية، وتبرّجت بشكل متقن. ولم يلزمها سوى دقيقة واحدة لترتدي الفستان وتقفل السحّاب، ثم تضيف الى زينتها القليل من الحليّ.

ـ انتهيت.

وأخذت حقيبة يد للسهرة، وابتسمت لميغيل: «هل نغادر الآن؟».

سارا معاً عبر الرواق ونزلا السلم، ومع أنها كانت ترتدي حذاء عالي الكعبين، إلا أن رأسها بالكاد وصل إلى كتفه.

سأل: «عطر جديد؟».

التقت نظرته المتسائلة قليلاً وردّت عليها بنظرة مماثلة، لتقول بوقار: «هذا سلاح المرأة».

وكتمت الرجفة الناعمة كالريش التي تسللت الى بشرتها، بعد أن مد ميغيل يده ليمرر أصابعه ببطء على كتفها.

ـ لستِ بحاجة لسلاح.

رفعت البسمة أطراف فمها: «هل تغويني؟».

ارتفع حاجبه، ولمعت أسنانه بيضاء وهو ينظر إليها ممازحاً: «وهل نجحت؟».

أوه.. أجل.. لكنها لن تقول له هذا.

ـ أمامنا حفل عشاء نحضره.. أتذكر؟

ضحكته الخشنة كادت تهلكها. وقال متشدقاً: «الترقب، كويريدا، هي لعبة العشاق».

سألت هانا بخفة: «هل هكذا تنظر إلى زواجنا؟ مجرد لعبة؟».

قطعا معاً البهو الكبير وأكملا الطريق إلى الردهة التي تقود إلى المرآب الداخلي.

ـ أنتِ أدرى بذلك.

ـ حقاً.

وخرجت الكلمة منها قبل أن تفكر في منعها.

سألها ميغيل بعد أن توقف أمامها: «هل تريدين أن أريك؟».

ـ أتصور أنك ستفعل هذا.. فيما بعد.

كان في صوتها نبرة غير محددة تسببت بضيق عينيه قليلاً لتبحثا أبعد من قسمات وجهها الوقورة.

كانت تمتلك ضعفاً تحت واجهتها المحنكة، عاطفة حقيقية، لا تحمل شيئاً مصطنعاً.. وهذه ميزة نادرة بين من يعرفهن من النساء.. وهو يشك في أنها تعي كم هو قادر على معرفة كل رنة في صوتها، وكل تعبير

على وجهها، مهما كان عابراً.

إنها متوترة الليلة، لسبب ما، فسعى إلى التخفيف من هذا التوتر قليلاً.

وضع يده على مؤخرة عنقها، ورفع رأسها، ثم انحنى ليعانقها بتذوق مثير سبّب لها تنهيدة خفيفة فاستندت إليه.

كم استمرت؟ لحظات أم دقائق؟ لم تشعر بالوقت، بل تملّكها إحساس بالندم وهي تنفصل عنه.

كانت عيناه قاتمتين، عميقتين جداً. وأحست بكل نفس تتنفسه، وكل ضربة لقلبها وهو يخفق في صدرها.

قال ميغيل بلطف: «هناك فرق بين الرغبة الجسدية والحب.. من الأفضل أن تتذكري هذا».

ثم عطل جهاز الإنذار في السيارة، وفتح الباب، فاندست في المقعد الأمامي.. بينما كان ميغيل يندس وراء المقود.

بعد دقائق وجه الجاغوار القوية نحو البوابة التي تُفتح بجهاز تحكّم عن بعد، وزاد سرعته حين وصل الطريق العام.

أنار ضوء الشفق ما يحيط بهما بوهج ذهبي ناعم.. ولأن حرارة الجو ما تزال مرتفعة، شغل جهاز التبريد لتلطيف المكان.

كانت عاصفة المطر قد مرت، وأحجار الإسفلت المبللة في الطريق الدليل الوحيد على مرور العاصفة العابرة.

سألته من دون اكتراث: «من هم الضيوف الآخرون؟ هل تعرف؟».

ـ العلم المسبق، كالتسلح المسبق؟

وتوقف ميغيل عند تقاطع طرق.. وابتسمت له ابتسامة ظريفة: «شيء من هذا القبيل».

كان هناك بضعة أفراد بارزين من المجتمع تعرفهم، يجدون لذة في إطلاق قطة بين الحمام، لمراقبة النتيجة. وكان هذا يجري بإشراف دقيق،

ويوفر تسلية مرحة للمتآمرين.

منذ بضع سنوات، كانت هدفاً لتخميناتهم. وصححت لنفسها.. الشائعات، كان من المستحيل تجنبها، لكنها تكره أيّ محاولة متعمدة للأذى أو جرح المشاعر.

رد عليها ميغيل: «ذكرت غرازيلا كلاً من أنجلينا وروبرتو مورو، وسوزان وبيتر ترتيتون».

ونظر إليها بسرعة مع تغير ضوء إشارة السير وبدء تحرك السيارات، وأكمل: «وإستبان مدعو أيضاً».

شريكان في مؤسسة محاماة وزوجتاهما إضافة إلى والد ميغيل الأرمل.

عادة تدعو أسرة ديل سانتوس ما بين العشرة والأربعة عشر ضيفاً إلى مائدتها ونادراً ما تكشف هوية كل من سيحضر. وكانت غرازيلا تعلق دائماً أن هذا ما يجعل الأمسية مثيرة للاهتمام.

وتساءلت هانا ترى من دعت غرازيلا ليكون شريكاً لوالد زوجها الفاتن؟ أرملة؟ أم ربما مطلقة؟

سألت والسيارة تقطع تقاطعاً آخر: «هل هناك أخبار مهمة يجب أن أعرفها؟».

ـ وهل أنت بحاجة إلى إدارة حديث يومض بالشرر؟

ردّت ساخرة: «هذا يبطل مفعول أيّ مفاجأة خبيثة».

ـ مثل ماذا؟

ـ إفلاس رجل أعمال بارز بسبب تجنبّه للضرائب، أو بسبب زوجته التي استخدمت بطاقة الاعتماد المصرفية في عدة محلات ملابس غالية الثمن.

نظر ميغيل إليها بحدة: «وهل محلك واحد منها؟».

ـ لقد فهمت بسرعة.

لم يكن ما تعرّضت له خسارة كبرى، فبإمكانها التخلص من أيّ خسارة. لكن ينفّرها ويزعجها أن يتعمد شخص تثق به أن يسلبها مالاً.

ـ اتركي الأمر لي.

أحست بالسخط: «أستطيع معالجة المسألة».

رد بهدوء: «لستِ بحاجة لأن تفعلي».

وأرادت هانا أن تضربه. وقالت بحزم: «هذا عملي.. ومشكلتي».

قرر ميغيل أن المسألة يمكن أن تنتظر، فهو يعرف أن الاصرار الآن سوف يزيد الموقف سوءاً.

كانت ضاحية «كيو» ضاحية ممتازة، فيها مساكن ضخمة وفخمة. وأدار ميغيل السيارة إلى شارع مورث، ثم توقف أمام مجموعة فخمة من البوابات تقود إلى مسكن غرازيلا وانريكو ديل سانتوس المهيب.

ـ سنناقش هذا فيما بعد.

وأنزل زجاج نافذته ليضغط زر الهاتف الداخلي ويعطي اسمه، ثم انتظر ريثما تفتح الأبواب.

أوقف السيارة في ساحة واسعة مغطاة بالحصى، محاذية للمدخل الرئيسي.. وقال بنعومة: «الاستقلال في المرأة ميزة تثير الإعجاب.. لكن هناك أوقاتاً تتطرفين فيها إلى حدود بعيدة».

نزل من وراء المقود، وخرجت من السيارة. ثم أقفلت الباب.

ـ وإرادة الرجل التي لا تقهر هي كالألم في الرأس.

رد ببرود: «سلام».

ـ طبعاً، آمانتي.. لن أحلم في إفساد صورتنا.

قال: «أحسني التصرف».

وصعدا معاً السلم المنخفض نحو باب المدخل المزدوج.

وما إن وصلا حتى إنفتح الباب.. وألقى رجل قوي البنية، في الخمسينات من عمره، تحية تحبب عليهما.

ـ هانا.

ومال انريكو إلى الأمام ليطبع قبلة على خديها واحداً تلو الآخر، وصافح يد ميغيل الممدودة: «أدخلا إلى غرفة الاستقبال».

وحين اقتربا صار بإمكانهما سماع همهمة الحديث الخفيفة.. قادهما انريكو إلى غرفة كبيرة واسعة مليئة بالأثاث الأثري من مقاعد ثقيلة وأرائك، وضعت في مواقع مواجهة لبعضها بشكل مريح.

كان الرجال يقفون في بذلات السهرة الرسمية، فيما النساء في قمة الأناقة وإكتمال فن التبرج وكأن كل منهن تمثل نموذجاً لمجلة «ڤوغ».

طاف نظر هانا ببعض الوجوه المألوفة، وابتسامتها دافئة حقيقية. وتحرّكت إلى الأمام، إنها واحدة منهن، ولدت في جو ثري قديم راسخ، تعلمت، وأُعدت لتصبح جزءاً من نخبة.. اللعنة.. حتى إنها متزوجة من هذه المجموعة.

واستقبلتهما غرازيلا بدفء. ثم، دست ذراعيها في ذراع كل منهما وقادتهما إلى منتصف الغرفة.

ـ تعرفان الجميع تقريباً. ما عدا أشخاص أعزاء، أريدكما أن تلتقيا بهم.. إنهم قادمون من أوروبا لزيارتنا هذا الصيف.

كان لغرازيلا وانريكو أصدقاء في كل مدينة في العالم تقريباً، ويستقبلان الضيوف باستمرار في بيتهما.

أشارت غرازيلا للتعريف بهما.

ـ أيمي دالفور وابنة أختها كاميل.. هانا وميغيل سانتانوس.

كانت كاميل طويلة، ونحيلة، ومذهلة الجمال. ويصل شعرها إلى ما تحت كتفيها في شلال أسود قاتم لماع.. أما تبرجها فمتقن، وبشرتها خالية من العيب، وجسمها يضحيّ المرء لأجله. وقد ارتدت فستاناً فخماً وانتعلت حذاء مماثلاً، وتزيّنت بحليّ غالية الثمن.. والنتيجة روعة فاتنة.

قالت كاميل بصوت كهرهرة القطة، ولكنة مثيرة متشدقة: «ميغيل..

فرصة سعيدة».

مدت يدها تستفزه بصمت أن يأخذها، وعيناها السوداوان تلمعان بتحدٍ جريء.

هذه المرأة تجلب المتاعب.. هذا ما رأته هانا بقلب غائص. إعجاب كاميل بميغيل كان واضحاً بشكل فاضح.. وكذلك نيتها في أن تفتنه.

كتمت هانا أنفاسها من دون وعي، وقد اقشعر جسمها الناعم في ردة فعل دفاعية حامية للذات، وراقبت ميغيل يلمس بشفتيه الأصابع المدهونة بالأحمر، ثم يتركها.

قالت كاميل بأدب كاذب: «هانا».

وأعادت اهتمامها إلى ميغيل.

قالت غرازيلا، وهي المضيفة اللطيفة: «سيحضر أتريكو لكم شراباً.. ماذا ترغبون؟».

قالت هانا: «شكراً لك.. عصير برتقال».

ولمحت تعجّب كاميل لخيارها، وسألت بنبرة تدل على أن عدم الشرب هو زلة اجتماعية: «أنت لا تشربين؟».

رفعت هانا رأسها: «في هذه اللحظات أفضل ألاّ أشرب».

ـ ألا يتحمل رأسك الشراب؟

اختارت هانا ألاّ تبتلع الطعم، وابتسمت.

بعد دقائق، كانت ترتشف العصير البارد من كأس كبير مرتفع الساق.. وهي تعي تماماً تميّز كاميل في دورها كمغرية.

حذرتها هانا في سرها: استمري في هذا.. وسوف أقتلع عينيك!

في تلك اللحظة، وضع ميغيل ذراعه على خصر كاميل، حركة لم تبدُ أن لها تأثيراً كبيراً.

احتكاك الأظافر المدهونة باتقان للمرأة الفرنسية وهي تلمس كم سترة ميغيل. إبتسامة الإغواء المتعمدة، الوعد البادي تحت الرموش الطويلة

المنحنية.

إنها تكاد تأكله حياً!

وقررت هانا أن هذا يكفي، فهي ليست مضطرة لأن تقف هنا تراقب إغواء كاميل الجريء.

ابتسمت لكاميل ابتسامة ساحرة: «هلاّ عذرتني؟».

والتفتت إلى زوجها لثوان قبل أن تتحرك مبتعدة بضع خطوات لتنضم إلى والد زوجها.

قال إستبان مادحاً بخفة وهو يميل ليقبل خدها: «هل لي أن أقول أنك تبدين جميلة الليلة؟».

ردت هانا بلطف: «شكراً لك، مرت بضعة أسابيع منذ كنت في منزلنا. يجب أن تتناول العشاء معنا قريباً، نحن لا نراك كثيراً».

وكانت ابتسامته دافئة بمحبة وهو يجيب: «غرانسياس، لكن تعرفين كيف تسير الأمور!».

وهزّ كتفيه، فلم تستطع منع نفسها من ممازحته، وقالت بوقار: «مواعيد اجتماعية.. ونساء عدة يتنافسن على جذب اهتمامك؟».

ـ آه.. أنت ترضين غروري.

أكدت له بلطف: «لا.. فأنت رجل رائع جداً، أحبه كثيراً».

إنه رجل تتمنى أيّ إمرأة في كامل عقلها أن تخطفه، إلا أنه يحتفظ لزوجته الراحلة إيزابيلا بمكانة مميزة في قلبه.. ولا يرغب في أن يجد لها بديلاً.

أحد المعارف المشتركين انضم إليهما، وبعد بضع دقائق تحركت مبتعدة.

قال صوت أنثوي خفيف: «ربما أنت بحاجة إلى شحذ برائنك».

استدارت هانا نحو سوزان ترنتون: «حقاً؟ وعلى من أستخدمها؟ على ميغيل؟».

www.elromancia.com

- على كاميل حبيبتي.. فهناك وسائل أخرى تستطيع الزوجة استخدامها لترويض زوجها.

وكان هذا رداً لا معنى له، قيل بسخرية مرحة، ولمجرد التسلية.

قالت هانا: «مثل ماذا؟».

وضحكت سوزان ضحكة منخفضة: «حلي غالية الثمن».

قال ميغيل متشدقاً وهو يشبك أصابعه بأصابع زوجته: «نوّراني».

وقفت هانا مسمرة تماماً لبضع ثوان، ثم سمحت لنظرتها أن تلاقي نظرته.

وقالت تختلق الكلام: «الألماس الأبيض والزهري.. عقد حلية متدلية، قرط مماثل».

ولامست ابتسامة ماكرة أطراف شفتيها: «ستكون جميلة جداً».

التوى فمه بمرح: «وهل هذا تلميح زوجة؟».

في تلك اللحظة، أعلنت غرازيلا أن العشاء على وشك أن يُقدم. وبدأت توجه الضيوف نحو غرفة الطعام.

قال ميغيل بلطف وهما يسيران عبر الغرفة: «لم يكن هناك داع لأن تتركيني».

- بدوت لي أنك على ما يرام بمفردك.

قال متشدقاً: «احذري كواريدا.. برائتك بدأت تظهر».

ابتسمت له ابتسامة ساحرة: «لماذا، آمانتي، أنا لم أبدأ حتى بتحريكها».

إن أجلستهما غرازيلا قرب كاميل، فستصرخ، إذ لا يمكن للأقدار أن تكون غير لطيفة هكذا.. هل يمكن؟

يبدو أن هذا ممكن.

قالت غرازيلا وهي تقترح ترتيبات الجلوس: «فكرت في أن أجلسكما قبالة كاميل، فهانا تعرف الفرنسية، وعاشت في باريس لأكثر من عام».

والتفتت تقول لكاميل: «بما أنكما تعملان في الأزياء، فسيكون بينكما أشياء كثيرة مشتركة».

أوه.. يا للسماء.. ستكون هذه أمسية مرحة!

***

www.elromancia.com

٢ ـ من يختار؟

بدأت كاميل الحديث بعد جلوسهما مباشرة : «قالت لي غرازيلا إنك تملكين محلاً في شارع «توراك». يجب أن أزورك لأتفحصه».

قالت هانا بأدب: «أرجوك، افعلي هذا».

وهل لها أن تقول غير ذلك؟ فقد كان ميغيل مشغولاً في الحديث مع بيتر ترينتون، يتحرى أعراف القانون.

ـ هل لديك تشكيلة من «الاكسسوار»؟

وتقدم ساقٍ مأجور ليقدم الطبق الأول، حساء لذيذ رقيق صافٍ.

ردت هانا: «مجموعة مختارة صغيرة من الوشاحات والأحزمة والجزادين الغالية الثمن».

رفعت كاميل حاجباً معبراً: «ألا يعترض ميغيل؟».

ردت، كارهة أن تلعب لعبة كاميل: «يعترض على ماذا؟ حددي».

ـ على هوايتك الصغيرة.

نظراً إلى خبرتها الطويلة، والمسؤوليات اتجاه زبائنها، والمهارة المطلوبة لإدارة عمل ناجح.. كانت كلمات المرأة الفرنسية تعبّر عن إهانة تعنيها تماماً.

فاستجمعت هانا ابتسامة حلوة: «إنه مرتاح لأن لدي شيء مفيد أفعله وأملأ به وقتي».

ـ لا بدّ أنه يفضّل أن تكوني دائماً موجودة لأجله؟

نظرت هانا إلى المرأة الفرنسية، ولمحت الوميض الجشع الظاهر في عينيها.. ومالت إلى الصدق الجريء: «لأكون حاضرة لتنفيذ أقل نزواته؟».

فتحت كاميل يديها معبرة: «ولماذا السؤال.. هذا طبيعي حبيبتي. وإذا لم تفعلي، فهناك أخريات يقدمن خدماتهن».

ليس هناك ما يوازي القول الصريح والدخول في صلب الموضوع.

ـ مثلك أنت؟

بدا أن كاميل تختار كلماتها بدقة: «إنه رجل ثري جداً.. أليس كذلك؟».

ـ وهل الثراء هو كل شيء؟

ابتسامة كاميل لم تصل إلى عينيها: «إنه يشتري السلطة بحد ذاته».

لا داعي للتظاهر: «سلطة متبادلة».

لم يكن سراً أن الزواج بين أسرتي سانتاناس ومارتينز مدبر بشكل ملائم لجمع ثروة العائلتين قانونياً.

وقالت كاميل: «السلطة مقابل الجاذبية الجسدية، أي من هذا يختار ميغيل برأيك؟».

ردت هانا على نظرة كاميل وأجابت بلطف: «أستطيع القول إنه اختار».

نظرت إلى خاتم الزواج الألماسي المستطيل الذي يزين يد هانا اليسرى. وقالت: «معظم الرجال يشردون عن الطريق إذا واجهوا إثارة كافية».

أرادت هانا أن تفند هذا الكلام، وأن تصر بثقة على أن ميغيل ليس كمعظم الرجال، وإخلاصه لها راسخ.

رفعت أطباق الحساء، وقدم الطبق التالي. ونظرت هانا إلى السلمون المدخن المعروض بفن، والمنقوع في الخضار المخللة، مع طبقة من

السلطة الناعمة التقطيع.. وأحست بقابليتها على الطعام تختفي.

وتلوى التوتر داخل معدتها، فأخذت رشفة من العصير، ثم التقطت شوكتها محاولة إعطاء الطبق حقه.

ميغيل رجل جذاب، يمتلك رجولة بدائية تجذب النساء كالمغناطيس. مرت أوقات أحست خلالها بالتسلية لمحاولة نساء أخريات مغازلته.. وعرفت جيداً أن هذا العبث هو مجرد لعبة لا ضرر منها.

لكن حدسها حذرها من أن كاميل لا تتطابق مع لائحة من «لا ضرر» منهن.. وهذا ما أزعجها أكثر من أن تعترف بذلك.. فقد أثارت هذه المرأة في ذهنها أسئلة لا تمتلك إجابات عليها.

هل يمكن أن يغوى ميغيل؟ هل سيكون متعجرفاً بما يكفي لينغمس في علاقة خارج الزواج؟ بطريقة ما، لا تعتقد هذا.. لكن هل تعرف حقاً؟

زواجهما كان حلاً مناسباً مشتركاً، أساسه العمل.. ولم يكن الحب مشكلة.. على الأقل، ليس من جهة ميغيل، فهو يهتم بها، وهذا يكفي كما تقول لنفسها.

شيء واحد كانت متأكدة منه.. إنها تريد علاقة مبنية على الثقة والإخلاص.. لا على الادّعاء والأعذار الفارغة.

ـ ألستِ جائعة؟

استدارت هانا نحو زوجها، والتقت نظرتها بنظرته الثابتة، فلمحت في أعماق عينيه القاتمتين سؤالاً لم تستطع تحديده.

استجمعت ابتسامة خفيفة: «قلق علي.. ميغيل؟».

كان لقربه منها تأثير مثير للاضطراب. فقد جعلها تشمّ نوعية عطره الغالي الثمن، الذي يمتزج مع القطن المغسول حديثاً.. بشرته السمراء ناعمة، مع ذلك، هناك لمحة ظل على خديه بالرغم من أنه حلق ذقنه منذ ساعة فقط.

ـ قلق عليك؟ دائماً.

فردت بهدوء: «أنت بهذا تحمي استثماراتك».

ولمحت لمعان الغضب في عينيه، لكنه مرّ بسرعة الى درجة اعتقدت معها أنها واهمة.

وافق بنعومة: «طبعاً».

وحاولت النظر بحماس إلى طبق ممتاز من المعجنات.

وكانت كاميل منهمكة في الحديث مع ميغيل. فاستدارت هانا إلى الضيف الجالس إلى جانبها الآخر، ووجدت نفسها عالقة في نقاش حام حول مزايا التعليم في المدارس الداخلية في أوستراليا مقابل المؤسسات المرتفعة الأسعار في ما وراء البحار.. واستمر هذا الحديث حتى الانتهاء من تناول المعجنات، وإزالة الأطباق، وتقديم يخنة لذيذة من طعام البحر.

قالت هانا في محاولة لجذب اهتمام كاميل عن ميغيل: «ذكرت غرازيلا أنك مهتمة بالأزياء».

ـ أنا عارضة أزياء.

ثلاث كلمات أوضحت كل شيء.

ـ هل تعملين لدار أزياء محدد؟

رسمت كاميل ابتسامة متعالية: «لأي دار تقدم أجراً مرتفعاً أكثر».

ـ لقد حضرت في باريس آخر عروضات الموسم.

وتذكر جيداً أنها لم ترَ صورة لكاميل في زوايا المعارض. فمثل هذا الجمال الصارخ، لا يمكن أن تفوتها ملاحظته.. إنها متأكدة.

ـ لقد عرضت في ميلانو وروما.

رفعت يدها لترد الى الوراء خصلة شعر في حركة هدفت إلى تركيز الانتباه على أظافرها وتقاسيم وجهها الرائعة.

لا شك أنها صرفت ساعات لترتدي ملابسها وتصل بزينتها حد الكمال.. وقت أطول بكثير من العشرين دقيقة التي سمحت هانا بها

لنفسها!

كان الطبق الرئيسي مؤلفاً من لحم السمك مع السلطة الشهية، فأكلت جزءاً يسيراً من لحم السمك اللذيذ، باستمتاع زائف.

قالت كاميل مع إنهاء هانا ما في طبقها من سلطة: «أعتقد أن لنا صديقاً مشتركاً».

يبدو هذا ممكناً، نظراً لمعرفتهما بصناعة الأزياء الأوروبية، وقالت موافقة وهي ترفع كأس العصير لترتشف منه: «أنا واثقة من هذا».

ـ لوك دوبوا.

ولمع الاسم كالفضة في الهواء، ولم يكن أقل توهجاً من طريقة تقديمه المحسوبة.

وشعرت هانا بسكون يشمل المائدة كلها، وكأن الحديث توقف فجأة.. أم أن هذا حدث في مخيلتها فقط؟

اشتدت أصابعها على الكأس وهي تعيده إلى الطاولة، ولم يتحرك ميغيل، لكنها أحست بتحرك عضلات جسمه تحت البذلة الفاخرة.

قالت بهدوء: «لوك ليس واحداً من أصدقائي. لم يعد يحق له أن يدّعي هذا منذ ثلاث سنوات».

رفعت المرأة الفرنسية حاجباً في حركة عدم تصديق ظاهر.

ـ لقد طلب مني بشكل خاص أن أبلغك تحياته.

كان بإمكان هانا أن تطأطىء رأسها ببساطة وتنسحب من الحديث، لكن مثل هذا التصرف قد يفسّر لصالح كاميل.. وما يجري هنا حذرها من أنها بحاجة إلى المواجهة.

قالت هانا بهدوء: «أجد هذا صعب التصديق.. فنحن لم نفترق على وفاق».

ولم يعلق أحد من الضيوف بكلمة.

فقالت كاميل: «حقاً؟ لكنه تكلم عنك..».

وتعمّدت الصمت واتسعت عيناها، ثم بدت وكأنها تختار كلماتها: «.. بعبارات تصويرية متوقدة».

هذا هجوم محسوب. وأحست هانا بغضب متزايد لاختيار كاميل هذا الهجوم الكلامي العلني.. ولأي غرض؟

ردت هانا بهدوء لم تكن تشعر به: «كان لوك فتى أوروبياً مستهتراً، يفترس أيّ امرأة تستطيع تمويل نمط حياته الفاخر. ولقد تخليت عنه ما إن اكتشفت أنه طفيلي مزيف».

ورفعت كتفيها بهزة غير مكترثة: «وهذه نهاية القصة. وقد كتبت الصحافة عنها كثيراً في ذلك الوقت».

ثم استجمعت ابتسامة خفيفة، تحمل مقداراً من السخرية وتابعت تقول: «الوريثة الأوسترالية والمصور الفرنسي».

وركّزت نظرها على كاميل، واستطردت: «إذا أردت كافة التفاصيل، فأنا واثقة من أنك ستجدينها في أي أرشيف لصحيفة».

وأكملت في سرها، ولتكوني ملعونة، فهذه أخبار قديمة، من الماضي، وأسفها الوحيد أنها خدعت بمهارة على يد سيد خداع متدرب.

قالت كاميل محاولة إظهار الندم: «أوه عزيزتي.. أنا آسفة جداً.. لم أكن أعرف..».

وصمتت.

وفكرت هانا.. لا.. لست آسفة.. مع ذلك، أنت تعرفين كل هذا، لكنك تحاولين فقط خلق موقف مربك.

غطى ميغيل يد هانا بيده، ثم مال نحوها ولامس صدغها بفمه: «براڤو».

حركته خففت جو التوتر. وبعد لحظات، عاد الجميع للحديث مرة أخرى.

وقدّمت الحلوى، فأجبرت هانا نفسها على تناول «توشينو دو تشيلو»

www.elromancia.com

وهو «كاستر» سميك، وشربت عصيراً ممتازاً، وتحدثت مع ضيف قريب، وأعطت كل الدلائل على أنها تستمتع بوقتها.

ضحكت لنوادر مرحة، وتعاطفت مع الزوجين ترينتوس حول صعوبة إدخال ابنتهما البالغة شهرين من عمرها إلى مدرسة حضانة للنخبة. وحاولت جاهدة تجاهل كاميل ومحاولاتها المستمرة للجوء إلى اللغة الفرنسية بشكل متواصل.. هل تتصور هذه المرأة الفرنسية أن لا أحد غيرها يفهم؟ أم إنها لا تهتم أن يفهم أحد؟

كان ميغيل يتقن الفرنسية والإيطالية إضافة إلى لغته المحلية، الإسبانية. وكان لهانا ميزة معرفة اللغتين الأخيرتين. لكن، حتى ولو لم تكن تعرف الكلمات المحكية، إلا أن صوت كاميل وطريقتها المستفزة، لم يترك أي شك بأن ميغيل هو هدفها.

ولم يفعل ميغيل شيئاً يشجع هذا الاهتمام، لكن بعد ما يقرب الثلاث ساعات من مراقبة النظرات المختلسة، والإغواء الكلامي الوقح، تعبت هانا من التظاهر.

ابتسمت.. في وقت كان كل ما تريد فعله هو إيقاع الأذى بكاميل. وتألم فكها، وتشوقت كفها لصفع وجه المرأة الفرنسية.

قدمت القهوة في غرفة الاستقبال، ولم تعرف ما إذا كانت ستضحك أم تبكي بسخط حين تقدمت كاميل لتنضم إليهما.

يا للسماء! المرأة متشبثة بعنادها!

قالت: «سيكون من المستساغ جداً، لو اعتبرتماني كضيفة، اجتماعياً».

وابتسمت ابتسامة معبرة: «خالتي.. وأصدقاؤها».

وصمتت، ثم رفعت كتفيها النحيلتين في حركة فرنسية مثالية.

ـ.. لدينا اهتمامات مختلفة.. هل تفهماني؟

ولم يكن هذا مفاجئاً، نظراً لأن اهتمام كاميل الوحيد موجّه نحو

ميغيل على ما يبدو!

سألتها هانا: «كم ستبقين هنا؟».

رفعت الفرنسية يدها بحركة معبرة، ثم تركتها تهبط: «ليس لدي خطط فورية.. ربما بضعة أسابيع، أو أكثر، من يدري؟».

قال ميغيل متشدقاً: «أنا متأكد من أن غرازيلا قامت بالترتيبات المناسبة لتسليتك».

وتلقى منها ابتسامة مثيرة، قبل أن تقول:

ـ أتمنى أن تكونا مشاركين في مثل..

وصمتت متعمدة ثم أضافت: «.. هذه الترتيبات».

قررت هانا.. لا.. لن يحدث هذا إن استطعت منعه.. وأخذ ميغيل منها فنجان القهوة الفارغ ليضعه مع فنجانه فوق طاولة جانبية قريبة.. وكانت تعابير وجهه مهذبة وهو يمسك يد زوجته، ويميل برأسه نحو كاميل، قائلاً.

ـ لو سمحت لنا؟

احتجت المرأة الفرنسية: «ستغادران.. الوقت مبكر جداً».

قال ميغيل بنعومة: «ليلة سعيدة».

لكنه اكتشف أن كاميل لا تستسلم بسهولة.

ـ يجب أن تكونا ضيفيّ على العشاء، مع غرازيلا وانريكو، وخالتي.

صمتت لتبتسم ابتسامة حلوة، ونظرت إلى ميغيل نظرة إغواء متعمدة: «ميغيل.. يجب أن تحضر معك إستبان، سنحدد موعداً.. أليس كذلك؟».

ردت هانا بنعومة: «سنراجع مفكرتنا الاجتماعية، ونرد عليك».

وعرفت أن هذا موعد لا تنوي الوفاء به.

لم تتغيّر تعابير كاميل، لكن هانا لمحت لمعاناً حاقداً في العينين السوداوين.. وأحست ببداية الاضطراب.

المزاح العابث في بعض المناسبات، جزء من لعبة يلعبها عدد من الناس، فهي توفر لهم تبادلاً مسلياً للحديث لكن الحدس حذر هانا من أن هذه المرأة الفرنسية لا تلعب بحسب قوانين أحد سوى نفسها.

وقال ميغيل متشدقاً وهو يخرج بالجاغوار من الطريق الداخلية.

ـ أليس لديك ما تقولينه؟

استدارت نحوه، ورأت أن أنوار سيارة في الاتجاه المعاكس أضاءت تعابير وجهه القوي.. ومالت لتجعل نبرتها مسلية: «وهل تنتظر أن أتغاضى عن تصرف كاميل الوقح؟».

ـ أكاد أتصور أنك تغارين.

إنه يتسلى.. عليه اللعنة!

سألت ببرود: «وهل يفترض أن أرد على هذا؟».

نظر إليها بسرعة، ولمح النظرة الزرقاء النارية الموجهة إليه.. ثم أعاد اهتمامه إلى الطريق.

قال باسترخاء: «محاولتك الرد قد تثير إهتمامي».

وانفجرت في كلام غاضب: «ماذا تريدني أن أقول؟ إنني أعترض على طريقة احتكار كاميل لاهتمامك؟ وعبثها المثير للسخط؟».

جذبت نفساً عميقاً، ثم زفرته ببطء: «اللعنة.. إنها تحيك المخططات حولك! ومن لم يلاحظ هذا فهو أعمى!».

ـ وهل يجب أن أغتر؟

ـ وهل تشعر بالغرور؟

وكتمت نفسها انتظاراً لرده.

رد بارتياح: «لا».

قالت بغموض قاتم: «حافظ على هذه الفكرة».

مازحها من دون رحمة وهو يصل الشارع الرئيسي: «لماذا، آمانتي؟ ماذا ستفعلين لو أنني خضعت لسحرها؟».

ـ سأوقع بك أذى جسدياً موجعاً ثم أطلّقك.. وأموت بعدها.

نظر إليها نظرة قاتمة: «تدابير متطرفة».

ردت: «ماذا ستفعل لو أنني أظهرت اهتماماً برجل آخر؟ تدير الخد الآخر وتنظر بعيداً؟».

ـ سأقتلك.

وكان في صوته نغمة خطيرة، أرسلت الرجفات في جسمها.

قالت ممازحة: «رائع.. بضع ساعات في رفقة كاميل، ونحن لا نتجادل فقط، بل نهدد بالطلاق والقتل».

المرأة الفرنسية ساحرة لعينة، اعترف ميغيل بهذا متجهماً.. إنها امرأة خطيرة جداً ما لم يكن مخطئاً.

تابعت هانا: «طالما فتحنا هذا الموضوع.. أيّ أهمية تعلقها على ذكر كاميل المتعمد للذكريات السوداء؟».

ـ لوك دوبوا؟

ـ هذا هو.

ـ أما زلت تهتمين لأمره؟

قالت بحماس: «لا».

حتى الآن، تجد صعوبة في تقبّل أن ذلك الفرنسي استطاع اختراق دفاعاتها.. وهي التي تستطيع كشف الواجهة المزيفة لأي رجل في لحظة، كانت تدرك أن هدفه الرئيسي ثروة عائلتها.. لا هي. إلا أن لوك كان صبوراً بشكل غير معقول، وعرف أي زر يضغط عليه، ومتى، بحيث وقعت بين ذراعيه وكأنها مشمشة ناضجة للقطاف.

تابع ميغيل بنعومة: «أواثقة تماماً هانا؟».

كيف يمكنه أن يسأل؟ في حين لا يمكن للوك أن يقارن بالرجل الذي تزوجته؟

استدارت إليه: «أجل.. وأعطيك كلمتي».

ـ غرانسياس.

ـ يا لها من وصفة لزواج سعيد.

رد متشدقاً: «السخرية لا تناسبك، يا عزيزتي».

ـ آه.. لكنني أحب هذا الصدق الذي نتشاركه.. إنه جيد ألا توافق؟

ـ أستطيع التفكير بوصف ملائم أكثر.

لم يطل بهما الوقت للوصول إلى شارعهما المحفوف بالأشجار، ودخول الطريق الداخلية المؤدية إلى المنزل. بعد دقائق لحقت بميغيل إلى الداخل.

قال وهما يصلان البهو: «أخرجي كل تسجيلات بطاقات الائتمان من حقيبة أوراقك».

ورداً على نظرتها الحائرة، أكمل: «تلك الزبونة التي توزع ديونها في المدينة كلها، سوف أتولى أمرها».

ردت بإصرار: «لا.. لن تفعل.. يمكنني فعل هذا بنفسي».

سأل بثبات: «لماذا وأنا أستطيع هذا بسهولة أكبر؟».

نظرت إليه بحدة: «لأنني مستقلة».

ـ وعنيدة.

لم توافق: «لا.. بل مكتفية ذاتياً».

ـ ومتشبثة بعنادك.

ـ هذا أيضاً.. لو واجهت مشكلة، أعدك أن أتصل بك.

وهذا يكفي.

ـ هل سنقف هنا نتبادل الكلمات، أم نذهب إلى الفراش؟

أحست برغبة في الرفض.. في أن تدير ظهرها وتصعد السلم بمفردها.. لكنها بحاجة لأن تشعر بالاطمئنان الذي تشيعه في كيانها لمسته، وبحاجة إلى دفئه، وإلى معرفة أنها تعني له أكثر من مجرد جزء من حياته كزوجة ملائمة. أن تتظاهر ولو لبرهة، أن الزواج حقيقي، وما

يتشاركان به مميز، وليس مجرد واجب زوجي.

قالت موافقة: «أوه.. إلى السرير.. بكل تأكيد».

ـ وقحة.. ماذا لو كنت متعباً؟

سألت بجدية: «وهل أنت متعب؟».

ثم حركت أنفها: «لن أفكر في إرهاق قوتك».

ضحك، فالتف صوته حول أعصابها.. وأمسك يدها ليقودها صعوداً على السلم.

ـ دعينا نرى من سيصرخ طلباً للنجدة أولاً، هل يمكن؟

تنفست هانا بارتجاف بعد دقائق، بينما كان ميغيل يضمها إليه.. عندما تكون معه تشعر بأنها في الجنة ويحسّ قلبها بالرضا.

ولم تعد تسيطر على نفسها. كان هناك هذا الرجل فقط، وهذه اللحظة، ومشاعر غامرة لا تكاد تكبتها.. وانضمت إليه في عالمه الدافىء الغريب.

إنها تحب الإحساس به، بقوته وحبه المشبوب الذي يلطفه السيطرة التي تريدها أن تنفلت، أن تحطم الحواجز. أرادت أن يحبها بشغف لا يعرف الحدود!

وتحركت مجدداً بتململ نحوه.

قال ميغيل ممازحاً بصوت أجش: «ساحرة ماكرة».

تمتمت برضى: «هه؟».

شهقت مجدداً حين عاد يضمها إليه.

لكن، وبعد بضع ساعات من النوم ابتليت هانا بأحلام جعلتها تتقلب متعبة حتى الفجر، تبع هذا نوم عميق حين بدأ النور يتسلل من الستائر.

ولم تشعر كذلك أنه صحا باكراً واستند بارتياح إلى مرفقه يراقب نومها.

كانت قسمات وجهها رقيقة وبشرتها أكثر نعومة من بشرة أية امرأة

www.elromancia.com

أخرى.. طول شعرها المشعث كان يضفي عليها مظهراً جميلاً، ورموشها الطويلة، تنحني كالقوس عند الأطراف. أما ثغرها فمكتنز بشفتين تتكوران قليلاً عند نومها وبداها قادرتان، نحيلتان، تعرضان مجموعة الألماس، والخاتم الرائع الذي يؤكد إنها له.

كان يلفها جو هش مخادع: فهي تملك قوة داخلية، وصدقاً أصيلاً، يرفض أي زيف أو خداع.

ودّ أن يوقظها وأن يقبلها، كي تسعى إليه، وتطلبه مجدداً.

وأحس ميغيل بمشاعره تتحرك، وعرف أنه لو بقي في السرير فلن تنام مدة أطول. وبآهة حارة استدار ونزل ليقف على قدميه.. ثم سار نحو الحمام ليستحم.

***

٣ ـ خطوط المعركة

استيقظت هانا متأخرة، ونظرت إلى الساعة، ثم هرعت إلى الحمام. بعدها ارتدت ملابسها ووضعت الزينة الأساسية في وقت سريع قبل أن تجري بخفة نحو الطابق السفلي.

كان ميغيل على وشك أن يرشف آخر قطرة من قهوته حين دخلت المطبخ.. فخفق قلبها خفقاتٍ سريعة.

نظر إليها فشعر بعذاب خفيف أرجف ثغرها... هل تعي مدى جمالها؟ إنه جمال يذهب إلى ما هو أبعد من النظر، إلى عمق روحها.. في هذه اللحظة، كانت شفافة جداً.. وهذا ما حرّك قلبه إلى أبعد الحدود والمقاييس.

راقبها وهي تتناول كأساً وتصب لنفسها عصير برتقال طازج.. ثم أخذت قطعة توست وغطتها بالمربى.

سألت بصوت طبيعي: «لماذا لم توقظني؟».

قضمت التوست، وألحقتها بجرعة قهوة حلوة.

بدا لها بكل جزء منه المدير التنفيذي للشركة المتحدة.. بذلته لا شائبة في تفصيلها، وربطة عنقه حريرية سوداء تستريح على قميص أبيض ناصع.

ـ لقد حلّت الساعة.

www.elromancia.com

وتطلع إلى ساعته: «وسنتطلق بعد قليل.. لماذا لا تجلسين؟».

هزت رأسها: «لا وقت لدي».

اللعنة.. إنه يبدو رائعاً، وأرادت أن تدس أصابعها في شعره، وأن تحضنه وتضمه بشغف وقوة كبيرين.

أفكار خطيرة.. وابتلعت رشفة كبيرة من قهوتها. لو استسلمت للأفكار، فستتأخر أكثر عن عملها.. وهذا لن يفيد!

لذا، أنهت التوست، وابتلعت آخر شفة من القهوة، ثم أخذت موزة وتفاحة من وعاء الفاكهة الفضي، والتقطت مفاتيح سيارتها، ولحقت به إلى المرآب.

فتح ميغيل الباب، ونظر إليها بثبات من فوق سطح الجاغوار: «ليلة متململة.. فطور لا يُذكر، وطعام سريع، ليس الطريقة المثلى لبداية اليوم».

هزت كتفيها بلا مبالاة: «حسن جداً.. سوف آخذ القهوة وشيء آكله فيما بعد».

وأراد أن يكسر عنقها النحيل.

ـ تأكدي من أن تفعلي.

فتحت باب سيارتها واندسّت وراء المقود: «حاضر سيدي».

نظر إليها نظرة قاتمة.. ثم أدار المحرك وقاد السيارة ببطء نحو الأبواب.

سباب هانا المنخفض لامس الجو بخفة، وترافق مع تنهيدة ساخطة. العمل بإنتظارها، ولا وقت لديها للتأخر إذا أرادت أن تفتح المحل في الوقت المحدد.

بعد ثوانٍ، خرجت من الطريق الداخلية متجهة نحو شارع «توراك» بمزاج يفكر في كيفية التعامل مع ذروة زحام السير في الصباح.

كان من الرائع أن تستيقظ بين ذراعي ميغيل.. ففي تلك اللحظات

كانا يتبادلان الأحاديث الحميمة.

وتراءت قسمات وجه كاميل بسرعة في رأسها.. متطفلة معذبة بشكل غامض.

هل هذه قوة أفكار ما بعد الفراغ؟ وسارعت لطرد المرأة الفرنسية من رأسها، مركزة على ما سوف تعمله اليوم.

كان من المقرر أن توصل خدمات الشحن البحري كمية من البضائع الجديدة هذا الصباح، فوضعت في ذهنها أن تختار بدلة مذهلة لتعرضها في الواجهة مع الاكسسوار، وإعادة ترتيب وفرز البضاعة الموجودة.

وحين فتحت أبواب المحل، كانت قد نسيت وجود كاميل.. مؤقتاً.

وخلال الساعة التي تلت ذلك، توقفت يدها مرتين فوق الهاتف.. إنها بحاجة ماسة إلى سماع صوت ميغيل، ولو لالقاء التحية عليه. برنامج الأيام التالية، أصبح عادة صباحية فقط.. اللعنة، ستتصل به وتطلب منه لقائها لتناول الغداء.. وتستطيع سندي إدارة المحل لمدة ساعة، أو أكثر لو كان ذلك ضرورياً.

ومن دون تردد طلبت رقم هاتفه النقال. لكن، المكالمة تحولت إلى الرسائل الصوتية، فتركت اسمها، ودعوتها، ثم شغلت نفسها بعمل روتيني.

وفي الساعة العاشرة وصلت سندي، وهي صديقة لها تحب الأزياء، وترحب بعمل جزئي خلال وجود ابنتها في المدرسة، وتبع ذلك وصول الشحنة.

فضّ البضاعة، وتفحّص الفواتير، والتحضير للعرض القادم إستغرق بعض الوقت.. كما أتى زبائن للشراء إضافة إلى عابري سبيل غير جادين أرادوا التفرج فقط.

تلقت مكالمات هاتفية عدة ليس بينها واحدة من ميغيل، وحين قاربت الساعة الحادية عشر والنصف يئست هانا من إتصاله.

قالت سندي وهي تناولها الهاتف النقال: «إنه الرجل».

ابتعدت هانا بضع خطوات: «فكرت في أن نتناول الغداء معاً».

أخذت نفساً خفيفاً، ثم زفرته: «بإمكاني الذهاب في أي وقت من الآن حتى الثانية».

قال ميغيل: «أنا مرتبط باجتماعات طوال بعد الظهر.. ألا يمكن الانتظار حتى الليل؟».

وبدا متسلياً، وكأنه حزر سبب الاتصال.

ـ طبعاً.

قال باسترخاء: «ماستالويغو، كوربدا».

وقطع الاتصال.

سألت سندي بعد لحظات: «هل تنهين العمل في الواجهة أم أنهيه أنا؟».

وأشارت هانا إلى التمثال المكسو بالملابس: «تفضلي».

منديل مرخي بذكاء.. حلية «بروش» أنيقة ستضيف اللمسات الأخيرة، إضافة إلى حذاء عالي الكعبين وحقيبة يد مماثلة. وهذا شيء لن يستغرق أكثر من دقائق.

وكانت النتيجة مذهلة، جعلت هانا تكيل المديح، وتفحصت ساعتها.

ـ لماذا لا تأخذين فرصة للغداء.. أستطيع تدبر أمري لبرهة.

غالباً ما تختار الزبونات الدائمات، الشراء في فترة منتصف الصباح أو منتصف ما بعد الظهر.. أما الوقت الممتد ما بين منتصف النهار والساعة الثانية، فيمضينه غالباً بتناول الغداء في إحدى المقاهي العديدة أو أحد المطاعم الواقعة وسط المدينة أو في ضواحيها الفاخرة.

أخذت سندي حقيبتها واتجهت نحو الباب: «أراك قريباً».

تقدمت هانا إلى جهاز التسجيل وأزالت مختارات الصباح من

الاسطوانات ووضعت مكانها ما يلائم توفير خلفية هادئة من الموسيقى حتى وقت الإقفال.

الجرس الالكتروني أعلن وصول زبونة، واستدارت هانا بابتسامة ترحيب.. لكن ابتسامتها تجمدت لبرهة وهي ترى كاميل أمامها.

طويلة، نحيلة، ترشح ثقة بالنفس مع شيء من العجرفة وهي تخطو إلى الأمام. كانت ترتدي ثياباً لمصمم مشهور، وتضع عطراً غالي الثمن فبدت مثالاً للإناقة ذاتها.

أحنت رأساً رائع التسريح، واستطلعت البضاعة المرتبة بعناية.

ـ صباح الخير هانا.. رغبت بزيارتك.

لسبب ما شعرت هانا أن الملابس ليست هدفها: «لطف منك أن تزوريني».

في أية مرحلة يمكن للأدب أن يتجاوز الخط ويصبح كذبة بيضاء؟

وأشارت إلى مجموعة من الملابس المستوردة لكبار المصممين.

ـ هل هناك شيء خاص أستطيع مساعدتك به؟

تقدمت إلى الأمام وأخرجت ثوباً سيبدو مذهلاً على جسم كاميل الطويل.

فتكور فم كاميل وقالت: «حبيبتي.. أستطيع الحصول على مثل هذا في باريس».

وظهر في عينيها لمعان قاسٍ وهي تنتقل بين أمكنة التعليق الواسعة، متلهية تماماً عن معروضاتها المثيرة.

راقبت هانا المرأة الفرنسية وهي تسحب علاقة ملابس، وتتفحص الثوب بانتقاد ازدرائي، ثم تعيده من دون اهتمام إلى مكانه قبل التحرك خطوة أو اثنتين مكررة العملية.

لم يكن هناك شك في أنها تتعمد هذا التصرف. وتساءلت هانا كم من الوقت سيلزم كاميل لتصل تماماً إلى ما تريده.

كانت الملابس الخاضعة للحسم معروضة في أحد جوانب البوتيك. قطعت الفرنسية المكان وبدأت تفحصاً مماثلاً للقمصان الحريرية، وسألت فجأة: «كيف هو الشعور في أن تجبري على زواج من دون حب؟».

واحتسبت هانا أربع دقائق تقريباً. إذا أرادت كاميل حرباً كلامية، فليكن.. وقابلت نظرة المرأة بقسوة، رافعة حاجباً دقيقاً: «ومن أجبرني؟».

ضاقت نظرة كاميل: «ألا يزعجك أن يكون دافع ميغيل نابع من الواجب؟ لوالده، ولتكتل «ساغار»».

أخذت هانا وقتها لتفكر بكلمات المرأة الفرنسية: «بالنسبة لشخص لم يمضِ وقتاً طويلاً في ميلبورن، يبدو أنك امتلكت معلومات كثيرة».

- غرازيلا كتومة جداً. على أي حال، اهتمامي بميغيل بدأ منذ عدة أسابيع، خلال حفلة في روما.

وابتسمت بمكر: «حضرها ميغيل لوقت قصير مع زميل عمل».

وتذكرت هانا فوراً. كانت قد طارت إلى روما لشراء ملابس للموسم، وربطت الزيارة بلقاء عمل لميغيل في إيطاليا. حتى أنها تذكرت تلك الأمسية، وذلك الصداع الأليم الذي جعلها طريحة الفراش وقد طلبت من ميغيل أن يذهب إلى الحفلة من دونها.

وتابعت كاميل من دون هوادة: «لقد جعلت شغلي الشاغل اكتشاف كل شيء عن ميغيل سانتاناس.. عن زواجه، زوجته، وخلفيتها».

كان هذا أكثر تعقيداً من فضول عادي. وأدركت هانا بصمت، إنه يكاد يكون مقززاً.

أكملت المرأة الفرنسية كشفها، وكأنها منكبّة على تحليل تعابير وجه هانا.

- وعلاقتك بلوك دوبوا.. رجل مثير للاهتمام.

لكن وصف مثير للاهتمام لم يكن قريباً من الهدف. فالرجل وغد

محتال متمرس، ولا يزال يثير سخطها. لقد رافقها بضعة أشهر قبل أن تتخلص من الوهم وتواجه الحقيقة.

سألت هانا ببرود: «أتصور أن هذا يقود إلى مكان ما؟».

- بالطبع حبيبتي.. أنت لست ساذجة.

وما كانت بحاجة الى الكثير من الخيال لتتوضح الأمور، وبدأت تقول مفكرة: «دعيني أخمن.. جئت إلى هنا مع خالتك عن قصد.. وخالتك صديقة جيدة لعائلة دل سانتوس. وأنت تعرفين وضعهم الاجتماعي وإمكانية استغلالهم لإشراكك في الدعوات المتعددة في المدينة، وبهذا أمنت اتصالاً اجتماعياً منتظماً مع ميغيل».

أفلتت ضحكة رنانة من بين شفتي كاميل: «كم أنت ذكية، عزيزتي. بالطبع، الزيارة الى أوستراليا كانت من اقتراحي».

لمعت عينا هانا بشرارات نارية: «هل سترسم خطوط المعركة؟».

ابتسمت كاميل من دون مرح: «طالما تفهمين أن ميغيل لي».

وقفت هانا وقفة سخرية متعمدة: «حقاً؟ هل نسيت أن لي أفضلية أو اثنتين؟».

فردت الفرنسية بخشونة لا ترحم: «قد ينظر إليك ميغيل كواجب يلتزم به، لكن حبيبتي.. أنا أنوي أن أكون.. مدغدغته».

رنين جرس الهاتف جاء كمقاطع مرحب به، وتقدمت هانا لتأخذ المكالمة، منتبهة وهي تفعل هذا إلى أن الفرنسية استدارت نحو الباب، وخرجت خلال ثوانٍ.. استجمعت هانا حواسها، لترد على طلب زبونة، ثم حين انتهت، التفتت لتعيد ترتيب الملابس التي عبثت بها كاميل عمداً.

عقد التوتر معدتها.. لقد كان هذا أسوأ بكثير مما تصورته. ماذا ستكون ردة فعل ميغيل لو أخبرته؟ ربما سيتسلى. لكن ماذا يمكن أن يكمن تحت تسليته؟ الرضى الرجولي؟ إثارة الملاحقة والتحدي؟ المزيد من الصلة؟ هل سينغمس في علاقة خارج الزواج؟

يا إلهي العزيز.. كم تتمنى ألاّ يحدث ذلك، فمجرد الفكرة يمكن أن تدمرها.

رنين جرس الهاتف مجدداً قطع أفكارها، فردّت على المكالمة، واهتمت بزبونة اشترت تنورة وبلوزتين، ومنديل حريري جميل.. ولدى عودة سندي، أخذت حقيبة يدها وقطعت الشارع لتتناول الغداء في مقهى فخم.

طلبت هانا عصيراً وسلطة، وارتشفت الأول وأكلت الثاني ببطء.. لكنها عافته تماماً وطلبت العصير مجدداً.

في العادة تأخذ وقتاً كافياً لتأكل قبل العودة إلى المحل لكنها اليوم اختارت أن تتفرج على بضعة محلات، لتبحث عن الحلي الأثرية الرائعة. لفت نظرها قرط، فدخلت المحل، وجربته، ثم اشترته في لحظة تهور.

كانت الساعة تقارب الثانية حين عادت الى المحل، والرابعة حين غادرت سندي في نهاية يوم عملها، وفي الخامسة والربع، أقفلت المحل وقادت سيارتها إلى المنزل.

وبقدر ما جهدت في المحاولة، كان من المستحيل أن تصرف من رأسها التفكير بكاميل.. ما ظنته بداية لعبة مكشوفة، ثبت الآن أن فيه نوايا مبيّته جيداً، والتعامل معها قد يشابه السير عبر حقل ألغام.

الأمر المؤكد.. أن ميغيل لها.. وهي تنوي القتال من أجله، من أجل زواجها، وحياتها. وصممت على هذا وهي تضع السيارة في المرآب، وتدخل المنزل.

كانت صوفيا في المطبخ تحضّر العشاء.. فحيّتها هانا بمحبة وهي تتجه نحو البراد.

قالت لها مدبرة المنزل وهي تستخدم سكين المطبخ ببراعة كبيرة: «هناك رسالة لك واثنتان للسنيور.. وضعتها في مكتب السنيور».

أخرجت هانا زجاجة ماء بارد، وصبت بعضاً منه في كأس: «شكراً..

سأقرؤها بعد دقيقة».

داعبت أنفها رائحة حادة لذيذة، وتمتمت بإعجاب: «همم.. شيء ما، له رائحة لذيذة».

قالت صوفيا: «إنه طعام البحر.. سأقدمه مع خليط من السلطة».

رفعت كأس الماء إلى شفتيها، وشربت جرعة طويلة. ثم تحركت إلى فرن الطبخ ورفعت الغطاء عن الطنجرة التي تغلي. كان مغرياً جداً أن تتذوق حبة بلح البحر المتصاعد منه البخار، وبسرعة، تناقلت الصدفة من يد إلى أخرى وهي تفتح شقيها، وتخرج قطعة اللحم النضرة.

سألتها صوفيا: «أتريدين؟ سأخرج بعضاً منها وأضعه في طبق».

فهزت هانا رأسها نفياً: «لا.. سأوفر هذا للعشاء».

ودمدمت معدتها طلباً للطعام.

ـ سأذهب لأستحم وأغير ثيابي.. هل عاد ميغيل؟

ـ لقد اتصل السنيور منذ ساعة.. سيتأخر.. سأقدم العشاء في السابعة.. هل هذا مناسب؟

استمتعت هانا بلحم بلح البحر، وألحقته بكأس ماء آخر.. ربما تسبح في بركة السباحة أولاً. لديها من الوقت ما يكفي وهي تشعر بتململ غريب، وبحاجة إلى تنفيس بعض الطاقة المتوترة.

لزمها دقائق فقط لتصل إلى غرفة نومها، ودقائق أُخرى للتخلص من ثيابها وإرتداء ثوب سباحة أزرق مكون من قطعتين.. ثم أخذت منشفة شاطىء من خزانة البياضات، وخرجت بسرعة عبر الأبواب الزجاجية الواسعة في مؤخرة المنزل إلى المساحة المكسوة بالبلاط حول البركة.

تنفست بعد قليل قائلة لنفسها.. هذه هي الجنة. وتحركت بضربات واثقة في المياه المالحة الممزوجة بالكلور.

لم تسمح لنفسها أن تغرق بالتفكير، بل ركزت على الملمس الحريري للماء على بشرتها، وعلى خفة وزن جسمها والحركات المحسوبة لذراعيها

وساقيها.

المكان هادىء جداً.. لا صوت مجاور يزعج.. أسوار عالية، وأشجار باسقة ترسم الحدود، فتضفي على المنزل جو عزلة تامة، وتجعل من الصعب التصديق أن مدينة تضج بالحياة النابضة، على بُعد كيلو مترات.

كان بإمكانها أن تكون في أي مكان، فكرت بمرح. وراحت لبضع ثوان تتخيل مكاناً بعيداً عن هنا، حيث لا هاتف، لا التزامات اجتماعية، لا شيء يلهي.. هي فقط، مع ميغيل، يسترخيان تحت أشعة الشمس، ويأكلان متى أحسا بحاجة للطعام، وينامان عندما يرغبان بذلك.

لكن هذا مجرد خيال.. والواقع هو مجرد فترة استراحة قصيرة ما بين اللقاءات المتعددة والاجتماعات.. أينما كانت، في باريس، روما، مدريد أو فرانكفورت.. ويوم منتزع هنا وهناك، ودائماً على مسافة قصيرة من الهاتف النقال، ومكالمة مهمة، تخترق سحر اللحظة حتماً.

هذه هي الحياة وإيقاعها السريع، الحاجة لعقد الصفقة التالية للبناء والتوسيع والدمج، والمغامرة في مجالات جديدة.. ودائماً سباقون ومتقدّمون على المنافسين.

الحياة مثل دوامة الخيل في مدينة الملاهي، تستمر في التحرك، ما إن يمتطيء المرء ظهرها حتى يصعب عليه الترجّل.

قد تستطيع إقناع ميغيل بتخصيص فترة عطلة ضمن جدول أعماله.. ليذهبا إلى هاواي حيث أشعة الشمس، الموج والرمال، حيث سير الحياة أكثر بطئاً. والجزر الإستوائية توفر الاسترخاء ونمط حياة يخلو من الهموم.

لم تسمع هانا صوت الماء الخفيف حين غطس ميغيل برشاقة في البركة.. لكن مع بروز رأسه قريباً منها، عرفت أنها لم تعد وحدها.

استدارت نحوه: «هاي.. لقد عدت باكراً».

توقف ميغيل ليمسح الماء عن وجهه، ويمرر كلتي يديه على رأسه تاركاً شعره يماثل الابنوس الأسود اللماع.

ـ وهل من المستحيل أن أرغب في رؤية زوجتي؟

أمالت رأسها جانباً، ونظرت إليه مفكرة: «همم.. ربما».

مازحها بخفة: «فراتسياس أمادا، على هذه الثقة».

تقدّم منها أكثر وضم خصرها إليه، فخدّرت رجفة عمودها الفقري، وتقوس جسمها نحوه طائعاً.

وتشابكت يداها فوراً على مؤخرة عنقه. وبدأ العناق بطيئاً، حلواً، ثم أخذ يتحول إلى شيء أصبح مقدمة للوعد بالحب.

وببطء ابتعدت هانا عنه، وأنزلت يديها بأسف من حول عنقه.

ـ سيكون العشاء جاهزاً قريباً، وكلانا بحاجة إلى حمام وعلينا ارتداء ملابسنا.

تركها ميغيل، وعيناه مليئتان بمشاعر متقدة: «أعتقد أنه من الأفضل أن نستمتع بحمام متكاسل».

وجاء دورها للمزاح: «ونتأخر على العشاء.. ونفسد طعام البحر الذي تعده صوفيا؟».

طبع قبلة قوية سريعة على خدها: «يمكن للعشاء أن ينتظر».

قطعت البركة بسرعة لتصل إلى الحافة. ثم شدت نفسها لتصعد، ولتقف بحركة رشيقة واحدة، وهي تدرك أن ميغيل يفعل مثلها. وبحركة واحدة التقطا منشفتيهما، وجففا جسديهما، ثم ربطا المنشفتين حولهما وسارا نحو الأبواب الداخلية.

في منتصف صعودهما السلم، رفع ميغيل جسمها النحيل على كتفه وحملها ما تبقى من الطريق.

سألت ووجهها قرب ظهره العريض: «هل هذا تصرّف رجل الكهف؟».

وأحست بضحكته، بدلاً من أن تسمعها.

ـ وهل لديك اعتراض؟

تمسكت بكتفيه، وأحست بحركة العضلات القوية وهو يتقدم نحو غرفة النوم.

ـ وهل يشكّل اعتراضي فارقاً؟

دخل ميغيل جناحهما، وأقفل الباب، ثم أنزلها لتقف أمامه.

ـ ألا تريدين أن تلعبي؟

ردت ببساطة: «بلى».

وتمنت من كل قلبها أن تكون هي من يحتاج إليها.. وليس مجرد امرأة تحمل اسمه.

لقد جعل من علاقتهما الزوجية فناً.. وقالت لنفسها إنها لا تهتم.. يكفي أنه يجعلها تشعر بهذا، يكفي أنهما معاً يخلقان سحراً.

بعد ذلك، استحما وارتديا ملابس عادية قبل نزولهما إلى الطابق السفلي، حيث اختارا أن يتناولا «البايلا» اللذيذة على الشرفة المحاذية لبركة السباحة.

كانا يتوقفان بين لحظة وأخرى ليغريا بعضهما بشوكة مليئة بالطعام. وقد رافق الوجبة العصير اللذيذ، والخبز ذو القشرة المحمصة. وفي جلستهما الحميمة هذه، راحا يراقبان شمس الصيف تغوص ببطء وراء الأفق.

وأخذا وقتاً طويلاً ناقشا فيه يومهما، وتعمدت هانا ألاّ تذكر كاميل.. بطريقة ما، بدا لها أن إفساد هذه اللحظات مثل تدنيس شيء مقدس.

الأنوار خارج المنزل وفرت وهجاً ناعماً، أنار الحديقة، ورمت الشجيرات الشائكة المحيطة بهما بظلالها.. فيما طارت الفراشات حول المصابيح الكهربائية، مسحورة بلمعانها.

مرت فترة قبل أن يجمعا معاً الأطباق وأدوات الطعام بصمت،

ليعيداها إلى المطبخ.

ـ متعبة؟

ردت بصدق وهو يشغل جهاز الإنذار: «قليلاً».

مد لها يده، ولوت أصابعها بين أصابعه وهما يصعدان السلم.. في غرفة النوم، دخلا السرير فضمها بين ذراعيه وأدناها منه.

بعد دقائق، غلبها النوم، وبقي ميغيل مستلقياً يحدق بتفكير مكتئب في الظلام وهو يشعر تماماً بضربات قلبها الرتيبة تحت راحة يده، ورائحتها الأنثوية الخفيفة، وعطر شعرها النظيف، بينما يستريح رأسها على كتفه.

تحركت لتدنو منه أكثر.. وأكملت النوم حيث بقي تنفسها منتظماً.

حرك رأسه قليلاً ليطبع قبلة ناعمة على طرف جبهتها، ارتسمت على فمه إبتسامة مع تنهيدة خفيفة خرجت من بين شفتيها.

مستقلة، قوية، ذات شخصية فريدة.. وتكور لينام وهو يفكر بهذا. إنها عاشقة كريمة، حارة العاطفة، تماثله شوقاً، ولكنه شوق خاص بها. إنها له.

***

٤ ـ العصا السحرية

بدأ اليوم بداية سيئة، فقد اتصلت بها والدة سندي لتقول لها إن مساعدتها «سندي» نقلت إلى المستشفى لإجراء جراحة لاستئصال الزائدة الدودية، ولن تتمكن من العودة إلى العمل قبل أسبوع على الأقل.

أحست هانا بإنزعاج حقيقي، فسندي صديقة لها إضافة إلى أنها تعمل جزءاً من الوقت في المحل، ورتبت أمر إرسال الزهور إلى المستشفى وقررت زيارتها بعد فترة العمل.. ثم اتصلت بإحدى امرأتين يمكن أن تعملا عند الطلب.

وجدت أن الأولى مسافرة، فيما الثانية لديها حالة عائلية طارئة، ولم تجد سبيلاً لمساعدتها سوى وكالة توظيف. وإن فشلت فستتصل بأمها، ولو لملء الفراغ لساعة منتصف النهار.

تناولت فطورها على عجل واقتصر على نصف كأس من عصير البرتقال، ألحقته ببضع رشفات من القهوة.

تمتم ميغيل بسرعة وهي تلتقط حقيبتها وتضع حمالتها على كتفها: «بحق الله.. اجلسي».

مد يده، وأطبق على ذراعها، ليجبرها على الجلوس فوق كرسي قريب: «كلي».

ودفع نحوها بطبق طعام.. وشطر لها قطعة «كرواسان» ليدهن كل شق منها بالمربى.

نظرت إليه بعناد: «لا أستطيع.. سأتأخر».

قال بهدوء: «تأخري إذن. كل ما يلزمك هو خمس دقائق فقط، وقد تعلقين في زحمة سير أكثر من هذا الوقت».

ـ أنا لست طفلة.. اللعنة!

قال ميغيل من دون أن يتأثر: «أنت تضيعين الوقت».

كانت جائعة، لكن فشلها في إيجاد من يحلّ محلها أقلقها. وإذا لم تكن رينيه مستعدة، فستضطر إلى إقفال المحل مؤقتاً ولو لعشر دقائق لتحضر لنفسها سندويشاً.

منعها عنادها وتشبثها برأيها من أن تجلس.. لكنها أكلت قطعتي الكرواسان وألحقتهما ببقية القهوة الرائعة الساخنة الحلوة.

ـ هل أرضاك هذا؟

نظر إليها باكتئاب: «لا».

أخذت مفاتيح سيارتها، وقالت:

ـ أنت بالطبع، نادراً ما تعاني من الحالات الطارئة التي تقلب برنامج عملك رأساً على عقب.

ـ أحياناً.

ردت بجفاء: «لا تقل لي.. فأنت لديك دائماً خطة بديلة».

رفع حاجبه، وقال متشدقاً: «منذ دقائق، لم تكوني قادرة على انتظار الخروج والآن تريدين الجدال!».

ردت ساخطة: «ولماذا، أنا لا أكسب جدالاً معك أبداً».

ورمته بنظرة مجفلة جعلته يتحرك بسرعة ليمسك وجهها.

وعانقها مستفزاً، عناق مزق مشاعرها وجعلها تتمنى لو إستمر وقتاً أطول ثم.. أصبحت حرة.

لم تستطع سوى التحديق فيه، بعينين واسعتين من دون أن يرف لها جفن.. حين تعتقد أنها تستطيع التكهن بردة فعله، يتمكن من مفاجئتها.

بللت شفتيها من دون وعي، وهي تعرف أن فمها يرتجف قليلاً.. ورأت عينيه تومضان لوقت قصير.

ـ اذهبي كوريدا.. سأتصل بك خلال اليوم.

استدارت هانا، وتحركت بسرعة عبر الفناء إلى المرآب.

هل يمكن لليوم أن يسوء أكثر؟ سألت نفسها بصمت وهي تتصل بأمها، لتكتشف أن رينيه في طريقها إلى المطار لتلحق بطائرة متجهة إلى سيدني.

ـ سأعود الليلة حبيبتي.. اتصلي بي إذا احتجتني.. سأتصل بك حين أعود.

بعد دقائق من فتحها المحل، اتصلت بإحدى وكالتي التوظيف المسجلتين على لائحتها، وأحست بارتياح كبير حين أخبروها إنهم يستطيعون إرسال فتاة مناسبة بعد نصف ساعة.. لكن في اليوم التالي.

بقيت هانا منشغلة طوال فترة الصباح مع زبونات جئن لتفحص آخر شحنة من الملابس الجديدة.. وكانت الإتصالات التي تلقتها لوضع بعض الملابس جانباً لبضع ساعات تعني أن المحل لن يبقى خالياً لفترة طويلة.

في منتصف النهار ثبتت لوحة على الباب تقول «سأعود بعد عشر دقائق» وأقفلته بسرعة لتقطع الشارع إلى مقهى قريب.. طلبت سندويشاً من السلطة وفنجان قهوة لتأخذهما معها لإسكات جوعها. ومع شيء من الحظ، ستتمكن من تناولهما من دون مقاطعة.

ـ هانا.

اللكنة المثيرة للقرف تسببت بقشعريرة في مؤخرة عنقها.. وتوسلت للسماء بصمت: أرجوك أن أكون مخطئة.. واستدارت لترى كاميل تجلس إلى طاولة قريبة.

بدا وجود المرأة الفرنسية هنا مصادفة مدبرة أو مؤامرة أخرى من كاميل تشير بها إلى معرفتها بروتين هانا اليومي!

تصرفت هانا بأدب غاضب وهي تقف بانتظار انتهاء طلبها.

ـ كاميل.

ـ لماذا لا تنضمين إلي؟

لن أفعل، لو استطعت.

ـ يجب أن أعود.. ربما في وقت آخر.

كان إقتراحاً فارغاً لم تنوِ الوفاء به.

ـ سأزورك لاحقاً.

بالكاد استطاعت هانا مقاومة رغبتها في أن تقول «أرجوك.. لا تفعلي» وأعطتها الفتاة من خلف منصة البيع فنجاناً مغطى من البلاستيك وحاوية مماثلة فيها السندويش.

ـ إلى اللقاء كاميل.

كانت الكلمات مجرد تأدب وهي تستدير نحو الباب.. فهي لا تريد أن تلعب دور الصديقة مع هذه الفرنسية الجميلة. ولو كان أمامها خيار، لفضّلت ألاّ تكون بينهما صلة أبداً! على أي حال، الفرص ضئيلة جداً، نظراً لعناد كاميل.

كان جرس الهاتف يرن حين فتحت باب المحل وأسرعت لترد. وخلال دقائق من إعادة السماعة إلى مكانها، رن من جديد.

قال ميغيل من دون مقدمات: «تلقيت تذكرتين للعرض الأول فيلم سينمائي الليلة».

وسمى لها عنوان الفيلم ومكان عرضه.

ـ سأصل إلى البيت في السادسة.

قالت هانا: «غراتسياس».

وكادت ضحكته الخشنة تدمر أعصابها.

ـ كوني حذرة كوبريدا.. لا تعملي بجهد.

فرصة ثمينة.. فكرت هانا بهذا وهي تتحايل لخدمة الزبائن وترد على

المكالمات الهاتفية، ما بين لقمة وأخرى.

كان هناك نوع من الرضى في اختيار الملابس المصنوعة بجمال لتناسب ذوق زبونة مفضلة، وتقديم النصائح لشراء الأحذية، والاكسسوار، والحليّ كذلك. سعادة الزبونة، وولاءها المستمر، هو مكافأتها، إلى درجة أنها حين تشتري الملابس وتوابعها، تكون قد وضعت في ذهنها إرضاء زبونات معينات لمحلها.

لم يكن هذا مجرد عمل، ولم تعتبره يوماً كذلك، وهي تشك بإمكانية بيع المحل أو التقاعد لتتركه بإدارة بائعة مدربة. لم يخطر هذا ببالها يوماً رغم أنها ترجّح أن تصل إلى وقت تفكر فيه بالأولاد.. إنجابها لطفل مسألة مهمة للاتحاد الذي يؤمن قانونياً دمج ثروة العائلتين واستمرارها إلى جيل آخر.

لكن متى سيحدث ذلك الأمر وكيف، هذا ما لم يقرر بعد.. لقد وافق ميغيل على اقتراحها بالانتظار سنة أو اثنتين، واعتبرت أن سن الثلاثين قد يكون العمر المناسب للتخلص من موانع الحمل.

لكن لماذا تفكر هكذا فجأة؟ هل لأن كاميل تمثل تهديداً لها؟

اللعنة.. ليس لديك ولد تستخدمينه كوسيلة تفاوض.. وهذا أقل من سلاح!

الجرس الاليكتروني أوقف دفق أفكارها، وجمدت لإبقاء ابتسامتها جاهزة وهي تتعرف إلى كاميل.

إذكر الشيطان يظهر أمامك!

قالت كاميل وهي تتقدم إلى حيث القمصان الحريرية.

ـ لقد استمتعت بغداء مطول.. ثم أمضيت ساعة أو اثنتين أستعرض المحلات.

وأخذت تنتزع التعاليق كيفما اتفق: «لقد لمحت شيئاً هنا بالأمس فكرت أن أشتريه».

ثم قطبت بعبوس خفيف: «ربما وضعته جانباً؟».

وأخذت تصف القميص، وسمّت علامته التجارية وحجمه، ثم نظرت إلى هانا شزراً وكأنما هي التي أخفته.

ـ لقد بعته بالأمس.

ـ اطلبي لي واحداً.

كان طلبها أمراً، وليس طلباً. كتمت هانا أنفاسها بضع ثوانٍ قبل أن تطلقها ببطء، وقالت بهدوء: «أستطيع المحاولة.. على أي حال، كل شيء هنا محدود الكمية».

نظرت كاميل إليها طويلاً، متفحصة: «اتصلي.. فأنا أريده».

تفحصتها هانا بدقة، ثم رمت بالتهذيب من النافذة: «لا يمكنك دائماً الحصول على ما تريدين».

ولم يكن هناك مجال للخطأ فيما تعني.

تفحصت المرأة الفرنسية أظافرها المطلية بإتقان، ثم وجهت نظرة حاقدة إلى هانا: «أنت مخطئة عزيزتي.. أنا أحصل دائماً على ما أريد».

ـ حقاً؟ ربما حان الوقت لئلا تحصلي عليه.

قالتها بنبرة ساخرة.

فردّت كاميل وكأنها قطة متوحشة على وشك الانقضاض: «إذن، أنت تنوين القتال؟».

قد يتحّول هذا بسرعة إلى مواجهة حارة: «أنا لن أقدم لك ميغيل على طبق من فضة».

ـ ولماذا.. أنا لا أنتظر هدية منك، بل أنا أمد يدي وآخذ ما أريد.

أحست هانا بأصابعها تتكور في راحتها، وكان كل ما عليها فعله، هو أن تبقى هادئة.

ـ حتى ولو لم يكن لك؟

ـ لأنه ليس لي يضيف نكهة من التحدي. الزواج؟ وما هو؟

وزادت التركيز على فكرتها بهزة كتف فرنسية.

ـ مجرد قطعة ورق.

ـ جربي ذكر العهد والإخلاص الدائم، الثقة والصدق.

وسمعت ضحكة المرأة المشفقة: «يا للطفلة المسكينة، أنت ساذجة جداً وتؤمنين بالمثل العليا».

مثل عليا؟ إنها تعرف الحقيقة مثل غيرها.. وأكثر. لأنها تضع خططها وهي تدرك جيداً أن هناك من يتخذ أيّ واجهة، لو أعتقد أنها لصالحه.. «لوك» كان الشخص الوحيد الذي تمكن من وضع الغشاوة على عينيها.

سألتها هانا متعمدة: «ماذا لو رفض ميغيل لعب لعبتك؟».

انفجرت كاميل بضحكة عابثة، ونظرت إليها بإشفاق: «هذا ليس خياراً».

ـ أنت واثقة جداً من نفسك؟

ـ بل واثقة من..

وصمتت ثانية ثم أضافت: «.. قدراتي حبيبتي».

ـ لوحدك؟

ـ ربما نتفق على مهلة أسبوع منذ الآن. ولن تعودي بعدها واثقة هكذا من نفسك.

بهذه الكلمات الوداعية، خرجت كاميل من المحل، وسرعان ما اختفت عن الأنظار.

أف..! لعلها لم تربح هذه الجولة، لكنها لم تخسر بعد.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة حين غادرت المحل، وقادت سيارتها إلى المستشفى، لتزور سندي المتعبة قليلاً، ثم اتجهت إلى المنزل.

كان ميغيل قد استحم وبدأ يرتدي ملابسه حين دخلت هانا غرفة

النوم.

أحاطت بجسمه المشدود، الفولاذي العضلات، هالة من القوة يُحسد عليها، قوة فكر وروح معاً. وكانت على استعداد لأن تتخلى عن أيّ شيء في سبيل أن تتمكن من التقدم إليه، ليضمها، ويجعل العالم يتلاشى من حولها.

حسن جداً.. طلب العالم كثير جداً.. وهي لا تريد إلا أن تبتعد عنها كاميل دالفور وتدعها بسلام.

ـ يوم سيء؟

رفعت رأسها ترمقه بنظرة متجهمة وهي تخلع سترتها وتبدأ بفك أزرار البلوزة.

ـ غداً سيكون أفضل.

تناول قميصه وارتداه.

ـ هل تريدين إلغاء السهرة هذه الليلة؟

كانت ترغب في أن تسترخي في المغطس لأطول مدة ممكنة كي تهدأ أعصابها المتوترة..

ردت بهدوء: «لا.. فقد نال الفيلم نقداً جيداً في الخارج».

جمدت يدا ميغيل بسبب الإنزعاج الخفيف في رنة صوتها، ونظر إليها بتفهم، فلاحظ الظلال الخفيفة تحت عينيها، وخديها الشاحبين، فقطع المسافة بينهما ببضع خطوات مرنة.

أمسك ذقنها، ورفعه بحيث لم يعد هناك مفر من لقاء نظرته.

ـ هل هناك ما يزعجك؟

أجل.. يزعجني كالجحيم. قالت تراوغ: «كما قلت.. كان يوماً سيئاً».

أخذ يحرك أصابعه بنعومة على خدها.. وقال بصوت ناعم: «هانا.. لا تظني أنني غبي.. الصدق، ألا تذكرين؟».

حسن جداً. . حان الوقت إذن، ولن يكون هناك توقيت أفضل.

ـ كاميل تريدك.

زاد سواد عينيه، وإن لم تتغير أساريره. سأل بنعومة باردة: «وهل قالت لك هذا؟ متى؟».

قابلت نظرته دونما صعوبة: «بالأمس واليوم».

وحاولت الابتسام لكنها لم تنجح ثم أضافت: «أنت رجل شهير».

فرد بسخرية: «حقاً؟».

هذه المرة كانت ابتسامتها مشرقة. . وكثيراً: «إنها مقنعة».

ـ أنا واثق من أنها كذلك.

ـ أكدت لها أنني أملك بضع أفضليات.

ورفعت يدها تعد على أصابعها وهي تقول: «أشياء ثانوية مثل إرث ضخم، زواج ملائم متناغم، وأنت».

بعدئذ، نظرت إليه نظرة ذات معنى وسألته: «هل قلت هذا بالترتيب الصحيح؟».

إزداد سواد عينيه لتصبحا كقطعتي زجاج بركاني: «أستطيع أن أضربك».

احتجت ببطء: «أرجوك لا تفعل. . فقد أتحطم».

ومع ذلك ضربها بلطف وقال مؤنباً بصوت أجش: «أيتها الحمقاء الحلوة. . أنا لا أهتم بأيّ علاقة خارج إطار الزواج».

ومرر إصبعه على شفتها السفلى ثم تركها: «كوميراندي. . فهمتِ؟».

سألت بشيء من الحزن: «كلمات. . ميغيل؟ لا تهيئني بإطلاقها من دون معنى».

ـ ولماذا أخاطر بزواجنا؟

شيء ما في داخلها مات بسبب نظرته إلى اتحادهما.

ـ بالضبط. . لماذا تخاطر؟

ـ هانا.

التحذير الناعم كان واضحاً، لكنها اختارت أن تتجاهله.

ـ بالنسبة لكاميل، أنت تمثل التحدي.

قال ميغيل بقسوة: «النساء من نوعية كاميل، معروف عنهن بأن لهن برنامجهن الخاص».

اشتعلت عينا هانا بنار لاهبة: «حسن جداً، بإمكانها أخذ برنامجها والرحيل».

رفعت التسلية أطراف فمه، ولمعت عيناه بمرح: «هل وصلتما إلى حد امتشاق السيوف. . كوريدا؟».

ـ أجل.

ضاقت عيناه قليلاً: «ليست من مستواك».

ـ أرجو أن يكون هذا مديحاً؟

ـ من دون أدنى شك.

مال إلى الأمام وطبع قبلة على صدغها: «اذهبي واستحمي».

أخذت هانا ثياباً داخلية نظيفة ومنشفة ودخلت الحمام، ثم خرجت بعد ربع ساعة لتكتشف أن ميغيل نزل إلى الطابق الأرضي.

ارتدت بنطلون جينز وكنزة قطنية ولفت شعرها بعقدة على قمة رأسها، ثم انضمت إلى زوجها في غرفة الطعام.

كانت صوفيا قد أعدّت وجبة طعام رائعة. . وكان لجو المائدة تأثير مريح.

وببضع دقائق، أخلت الطاولة وملأت غسالة الصحون قبل أن تعود إلى الطابق الأعلى لتغيير ثيابها.

اختارت هانا بذلة سهرة ذات بنطال، بلون الزفير المتألق. . وسرّحت شعرها لتبقيه مسدلاً على كتفيها، واهتمت بزينتها قبل أن تضيف سترة من

www.elromancia.com

الحرير الصافي، بطول الركبة باللونين الأخضر والأزرق.. ثم حملت حقيبة يد صغيرة مزينة بالخرز أكملت بها زيّها.

قال ميغيل: «اكسويزينا.. فاتنة».

وابتسمت له بخجل: «غراتسياس أومير».

نظرت إليه تتفحص قامته الطويلة فلاحظت البذلة السوداء الرائعة، والقميص الأبيض القطني، وربطة العنق السوداء..

ـ ليس سيئاً.

والتوى فمها الشهي بإبتسامة خبيثة، قبل أن تضيف:

ـ أعتقد أنك ستكون لائقاً.

ـ حقاً؟

وراح يتأمل قسمات وجهها الرائعة التكوين، وبنيتها الصغيرة الحجم التي تنجح دائماً في تحريك مشاعره.

ـ هل لنا أن نذهب؟

وصلا قبل خمس عشرة دقيقة من بدء العرض. وسارا إلى داخل البهو المكتظ بالناس مع دخول المدعوين إلى القاعة.

كان للفيلم مقدمة غير عادية، مقدمة تسحر الألباب، غامضة توصل إلى استنتاج مذهلا.. أما التمثيل فمتفوق، أعلن أن الممثلين الثلاثة الرئيسيين قد يرشحون لنيل جوائز.

أمسك ميغيل يدها مع ظهور الأسماء في نهاية العرض، وتسللا معاً في الظلام قبل خروج المشاهدين.

ـ هل تشعرين برغبة في الذهاب إلى مكان ما لشرب القهوة؟

كادت هانا ترفض، ثم غيرت رأيها: «ولمَ لا؟».

سارا أمام مجموعة من الأبنية، ثم دخلا مبنى ذا قنطرة يعود ديكوره إلى أواخر القرن التاسع عشر واختارا مقهى صغيراً متخصصاً بالقهوة المستوردة والحلوى والكعك المصنع منزلياً.

لم يبدِ أحد استعجاله.. وكان المكان ملائماً للاسترخاء.

طلبا القهوة، واختارا بعض الرقائق المخبوزة لتذوقها.

قال ميغيل وهو يحلي قهوته: «ابن عمي اليخاندرو وزوجته أيليس سيحضران إلى هنا لقضاء نهاية الأسبوع.. سوف يحضران حفلة جمعية مرضى سرطان الدم الخيرية الراقصة وسيحلان ضيوفاً علينا مساء السبت».

ابتسمت هانا بحرارة. كانت قد التقت إيليس بضع مرات منذ زواجها، وهما يتبادلان التعاطف الودي.

ـ وكم سيبقيان؟

ـ بضعة أيام فقط.. إيليس ستترك الصبيين مع المربية، وتطير شمالاً لتقضي بعض الوقت مع أصدقاء لها أثناء وجود اليخاندرو في بيرث.

ـ وستذهب معه.

كان هذا تصريحاً بالأمر الواقع وليس سؤالاً. ولمح ميغيل مشاعرها واضحة على ملامحها المعبرة: «يمكنك الانضمام إلينا».

كادت هانا أن توافق، لكنها تذكرت أن سندي غير موجودة.. وتركها المحل في عهدة شخص غريب، ليس خياراً جيداً.

قالت بلهجة آسفة: «سأحب هذا.. لكنني لا أستطيع».

وهزت كتفيها باستسلام: «كم سيطول غيابك؟».

ـ يومان وربما ثلاثة.

ليلتان ستقضيهما بمفردها.. يمكنها زيارة أبويها، أو الاتصال ببعض الصديقات لتنظيم سهرة في المسرح، أو حضور السينما، وربما الخروج للعشاء.. هناك العديد من الإمكانيات لتشغل وقتها، إلا إنها ستشتاق إليه بجنون.

هل لديه فكرة كم يعني لها؟ بطريقة ما تشك في هذا.. الافتتان والمحبة لا يساويان الحب.. والواجب بديل فارغ.

ـ المحل..

ـ مهم بالنسبة إليك.

نظرت إليه ملياً، تتوسل إليه بصمت أن يفهم.

ـ لقد اتفقنا..

ـ أعرف.

ـ هذا هو الشيء الوحيد الذي أقوم به وحدي.

ـ أنا لا أشك في قدرتك على تحقيق النجاح بمجهودك الخاص.

ـ لا.. لكنك تريدني أن أختار.

رفع حاجبه متسائلاً: «وهل تتخلين عن الحياة الاجتماعية لصالح المحل؟ هذا ليس أسلوبك هانا».

ـ وماذا تقترح؟

ـ رقيّ ساندي، ارفعيها إلى الإدارة. استخدمي بائعتين تستطيعان العمل مكانك.

ـ وبهذا أكون قادرة على السفر معك على وجه السرعة؟

ـ أفضل أن تكوني معي على أن أتركك في البيت.

هل هذا استسلام؟ هل هو اعتراف من نوع ما؟

قالت: «سأفكر بالأمر ملياً».

ورأت ابتسامته اللامعة.

ـ افعلي هذا أماندا.

وارتشف ما تبقى من قهوته قبل أن يتابع: «هل لنا أن نغادر الآن؟».

كان الوقت متأخراً حين أوقف ميغيل السيارة في المرآب.. ومع دخولهما إلى غرفة النوم، خلعت هانا ملابسها، ونظفت مساحيق الزينة عن وجهها، ثم اندست بين الأغطية القطنية الباردة.

وبعد دقائق غطت في النوم منجرفة إلى اللاوعي حيث هاجمت الأحلام عقلها الباطني حتى ساعات الصباح الأولى، حين أعادتها لمسات أصابع خفيفة على ظهرها، إلى اليقظة ببطء شديد.

قوّست هانا جسمها تتمطى كالقطة، ثم استدارت نحو الرجل الذي يحاول إثارة أحاسيسها.

مررت يدها تداعب صدره، وسمعت تنفّسه.

وبآهة خشنة أطبق يديه على خصرها وأدارها لتواجهه.

سألها ممازحاً: «وهل تريدين هذا حقاً؟».

وضحك ضحكة منخفضة خشنة، لنفيها.

فيما بعد ناما قليلاً مرهقين، إلى أن أرسل الفجر أصابعه الفضية عبر الظلمة المنسحبة، ليرسم بسرعة ألواناً ناعمة على الأرض والبحر. بعدئذ، أرسلت الشمس المشرقة وهجها الذهبي، لتعطي البديل عن الظلال وتعلن بداية يوم جديد.

استفاقت هانا وهي تشعر بالراحة، فنزلت عن السرير، وتوجهت إلى الحمام.

بدا لها ميغيل أكثر حيوية من أن يرتاح بالها. وراحت تراقب ابتسامته اللامعة وهو يتأملها.

بحركة آلية، لفت شعرها الطويل فوق رأسها وثبتته بدبوس من طبق قريب على شكل صدفة.

هذه طريقة عظيمة لبدء اليوم.. ها قد نعمت بالأمان بين ذراعي الحبيب. الآن، استسلمت لترف الاسترخاء في المغطس لإبعاد التوتر عن عضلاتها المتعبة.

أرادت أن تسند رأسها إلى الوراء، وأن تغمض عينيها.. وتبقى هنا لساعات.. بعدها تستمتع بالفطور، فريز طازج، يتبعه البيض واللحم الطري وفنجانين من القهوة الحلوة، ثم تعود إلى الفراش لتنام تحت الأغطية إلى أن ترتفع الشمس إلى قبة السماء.

لكن لسوء الحظ.. هذا ليس باليوم الملائم، ولن تبدأ نهاية الأسبوع

قبل الغد.. والمحل ينتظر، وكذلك البائعة البديلة.. ثم هناك كاميل.

فتحت عينيها ببطء.

فسألها ميغيل: «إلى أين ذهبتِ؟».

فابتسمت له: «قد لا تريد أن تعرف».

ـ لو قلت لي.. أستطيع..

ـ أن تحرك عصاك السحرية؟

ـ أقوم ببضع اتصالات.. أشد سلكاً أو اثنين.

ـ آه.. أصدق أنك قد تفعل.. لكن الأمر ليس بهذه البساطة.. إضافة إلى أن هذا الأمر يعود لي كوريدو.

مدت يدها لتأخذ منشفة، ثم خرجت من المغطس.

لم يكن الوقت متأخراً كما ظنت، واكتشفت هذا وهي ترتدي ثوباً متقن التفصيل اختارته للعمل.

كان هناك ما يكفي من الوقت لتناول فطور متأنٍ قبل أن تمسك حقيبة أوراقها وتلحق بميغيل إلى المرآب.

ارتفع الباب الآلي.. وبنفس الوقت فتح كل منهما باب سيارته واندس خلف المقود مشغلاً المحرك، ومع إشارة ميغيل خرجت هانا قبله.

في نهاية الشارع رفعت يدها ملوحة له، وهي تنظر في المرآة الخلفية وتستدير بالاتجاه المعاكس.

وصلت البائعة البديلة متأخرة، ورغم أن أوراق التوصية بها بدت مرضية، إلا أنها كانت تناسب أكثر قسم المراهقات في مخزن عام من أن تهتم بزبونات محددات يطلبن أزياء لمشاهير المصممين، حصرية وغالية الثمن.

بذلت هانا جهدها لإعطاء دروس سريعة عن أزياء النساء الفاخرة.. لكن، بعد تصادم مع زبونة كاد يؤدي إلى كارثة، أوكلت شانتيل بمهمات وضيعة، وجعلتها تحضر لها الغداء.

وبحلول منتصف بعد الظهر، كانت هانا تعاني من صداع متوتر. وقررت شانتال التوقف عن العمل وهذا يعني مكالمة أخرى إلى وكالة التوظيف، لطلب حاجات محددة. ومن ثم مكالمة يائسة إلى رينيه التي وافقت بملء إرادتها على سدّ الفراغ لبضع ساعات في اليوم التالي.

مرت لحظات قصيرة، فكرت هانا فيها جدياً باقتراح ميغيل لترقية سندي. وقررت متجهمة، أن عليها أولاً أن تختبرها خلال الأسبوع القادم، أو الأسبوعين.

***

٥ ـ بين رجلين

إختارت هانا للحفل ثوباً طويلاً من الحرير الأزرق يناسب قامتها النحيلة، ذا ياقة مرتفعة حتى العنق، وطيات ناعمة تصل إلى الركبتين. أما الحذاء فأزرق بكعب دقيق، وحملت حقيبة يد مزينة بالحلي أكملت بها هندامها.

كما تزينت بعقد من الماس، معلق بسلسلة ذهبية رفيعة، وقرط يماثله مع سوار ألماسي في معصمها.

ومع مقدار قليل من التبرج ركزت فيه على عينيها، مع لون وردي خفيف لوّن شفتيها. وأرجعت شعرها إلى الوراء رفعته «بشينيون» ناعم متقن.

كان الحدث الخيري الهام يدين بنجاحه إلى لجنة ناشطة، واسعة الخيال، قامت بتحضير لائحة دعت فيها نخبة من مجتمع المدينة.. موقع فخم، طعام وشراب رائعين، وتسلية على أرفع المستويات.

كان هذا الحدث، في نهاية السنة، من أرقى المناسبات الخيرية، والأموال المجموعة منه تذهب إلى جمعية مرضى سرطان الدم.

بدا ميغيل متألقاً في بذلته السوداء الرسمية، وقميصه الأبيض وربطة عنقه. التفصيل الرائع أبرز كتفيه العريضتين وجسمه الرجولي الطويل. كان يعكس صورة رجولية قوية، هي مزيج من الإثارة والقسوة التي لا ترحم، يضاف إليها نغمة لا تقاوم من السلطة، تجعل تأثيره مهلكاً.

ـ مستعدة؟

قابلته هانا بإبتسامة متلألئة: «إلى المعركة؟».

ضحكته الخشنة تسببت لها برعشة رائعة سرت على طول ظهرها: «هل هذا رأيك بالمناسبة الاجتماعية الليلة؟».

حركت أنفها، وقالت بمرح:

ـ ستكون مناسبة مذهلة.. مع اللاعبين المعتادين.

وأضافت في سرّها: بمن فيهم كاميل. وراحت تدعو السماء بحرقة ألاّ تكون أميرة المجتمع من بين الضيوف الذين سيجلسون على طاولتهما.

لكن الحظ لم يكن يستمع، هذا ما فكرت فيه بعد ساعة وهي تجلس على مقعد محجوز لها، وترى اسم كاميل مدوّن على بطاقة وضعت على مقعد بجانب مقعد ميغيل.

اللعنة.. هل يمكنها أن تنقل البطاقة خلسة؟ ولازمتها الفكرة فعملت على تنفيذها بسرعة حيث استبدلت بطاقة المقعد مع ضيف يجلس قبالتهما.

كان اليخاندرو وإيليس إضافة مرحباً بها. وكل من رأى ميغيل واليخاندرو معاً لاحظ فوراً صلة القرابة بينهما، إذ كانا بطول واحد، ويمتلكان عرض الأكتاف ذاته، البنية الجسدية المتناسقة والحركة الرشيقة نفسهما، حتى قسمات وجهيهما تحملان شبهاً واضحاً، من الملامح المنحوتة، إلى العيون السوداء الثاقبة.. وذلك الفم الحساس الجميل.

والداهما أخوان، تركا بلدهما سعياً إلى الثروة في بلاد أخرى، ونجحا وتزوجا، وأنجب كل منهما ابناً.

يسكن اليخاندرو في سيدني مع زوجته ايليس وولداهما الصغيران.. أما اسم عائلة «سانتاناس» فمعروف ومحترم في دوائر الأعمال.. ويشارك كل من اليخاندرو وميغيل معاً في بعض المشاريع المالية.

عانقت هانا ايليس بحرارة: «رائع جداً أن أراك، متى وصلتما؟».

ـ منتصف النهار ولم يستخدم اليخاندرو الهاتف الخلوي سوى مرة واحدة، ولم يفتحه بعد ذلك.

ومنحتها ابتسامة لا تقاوم ثم أضافت: «وأنا لم أتصل بالمربية سوى مرتين».

لمعت عينا هانا بمرح: «وهل هذه هي المرة الأولى التي تتركينهما في المنزل؟».

ـ بل المرة الثانية.. ولا أجد الأمر سهلاً.

قال اليخاندرو متشدقاً وهو يميل إلى الأمام ليقبّل خد هانا:

ـ لديها حاجة ملحة للسؤال عن أحوالهما.

ـ طبعاً.

وأرسلت ايليس إلى زوجها نظرة طويلة من النوع الذي جعل أعصاب هانا تقشعر حسداً.

أشارت هانا بيدها: «سنجلس معاً».

وراقبت ايليس تجلس على كرسي ثم تربت على الكرسي إلى جانبها: «اجلسي بجانبي.. لدينا أشياء كثيرة نتكلم عنها».

في المكان موسيقى هادئة، وقد جلس معظم الضيوف. ولم يعد هناك سوى مقعدين فارغين على طاولتهما. كان على هانا الاعتراف أن دخول كاميل مذهل وهي ترتدي ثوباً أحمر قاتم يغطي جسمها المتناسق، وكأنه جلد ثانٍ لها.

تحولت نظرة هانا إلى شريك كاميل، وجمدت ثوانٍ غير مصدقة وقع الصدمة قبل أن تغطي تعابير وجهها بقناع هادىء.

لوك دوبوا.

يا للسماء.. مرت ثلاث سنوات منذ رأته آخر مرة.

يومها، كان خليعاً فاسقاً يعتاش على حساب النساء الثريات.. شابات أو غير شابات، هذا ما لم يكن يزعجه.. مصور فوتوغرافي

محترف كان يستخدم مهارته لفتح الأبواب أمامه في عالم الأثرياء والمشهورين.

كان يجب أن تعرف، فلثلاثة أشهر في باريس، مارس سحره الكبير عليها.. دعاها للعشاء، وراقصها.

وراقبت هانا كاميل وقد بدأت تشق طريقها نحوهم وهي تجر لوك وراءها. وأجبرت نفسها على أن تحافظ على ابتسامة مهذبة وهما يقتربان.

هل لاحظ ميغيل دخولهما؟ هل عرف لوك؟

واقشعّر ظهرها ارتباكاً لمجرد التفكير بردة فعله حين يعرف.

إلا أنها تشك في أن يكون الرجلان قد التقيا من قبل.. وارتفعت رغبة في الضحك هستيرية، ثم ماتت في حنجرتها.

يا للسماء.. كاميل ولوك يجلسان إلى طاولتهما؟ يا لظلم القدر؟

شعرت هانا باللحظة التي شاهدهما فيها ميغيل.. ولم تستطع سوى التساؤل عما إذا كان أحد آخر قد لاحظ ردة فعلها على ظهورهما وكأنها حيوان غابة أحس بالعدو وينتظر هجومه.

بدت كاميل مثل قطة أرستقراطية تسللت لتوها لتلتهم الكافيار والكريما.

ـ ميغيل.. هانا.

نظرة واحدة إلى تعابير وجه كاميل اللطيفة، كانت كافية لمعرفة أن دعوة لوك متعمدة.

وظنت هانا أن وجهها سيتشقق إثر جهدها لإبقاء البسمة مثبتة على شفتيها وهي تحيي المرأة الفرنسية: «كاميل».

ماذا يفعل لوك هنا؟ ليس في أوستراليا ولا حتى في ميلبورن، بل في هذه المناسبة الخيرية بالذات؟ ومرافقاً لكاميل؟

لا يحتاج الأمر إلى عبقري للوصول إلى إستنتاج صريح.. فحتى الشخص الذي لا يشك بشيء يمكن أن يرتاب بنية كاميل افتعال الشر.

فظهور لوك هنا يؤكد ببساطة أن كاميل ليست جادة فقط في ملاحقتها لميغيل بل أنها لن تتوقف عند شيء لتحقق هدفها.

إذن.. هي الحرب. حسن جداً.. يمكنها حماية نفسها جيداً.. لديها سنوات من الخبرة في التعامل مع هذه الحماية، ولو ظنت كاميل أن إيقاع ميغيل في الشرك سيكون سهلاً.. فأمامها فترة تفكير أخرى قادمة!

قالت كاميل بصوت يشبه هرير القطة، وهي تجلس على مقعدها: «تعرفان بعضكما.. طبعاً».

واختارت هانا استراتيجية المواجهة، فقالت: «لقد تكلمت الصحافة كثيراً عن القصة يومها».

ونظرت إلى لوك، تريد أن تحرقه حتى يذوب في مكانه.

ـ أرجو أن يكونوا قد دفعوا لك ثمناً جيداً.

ـ مبلغ محترم.

وكان بإمكان ابتسامته أن تذيب قلوب مئات النساء.

لكن ليس قلبها.

ـ دعني أقدم لك زوجي.. ميغيل سانتاناس.

كان ميغيل مهذباً بشكل لا يصدق.. كل من يعرفه يمكن أن يشحب لونه للنعومة الثلجية الظاهرة في صوته.

لكن لوك، بدا غافلاً عن هذا.

بدأ السقاة بتقديم المرطبات والعصير، وافتتحت الحفلة بخطبة تعريفية قدمتها رئيسة الجمعية الخيرية، تبعها مذيع قدم عروضات التسلية للأمسية.

تنظيم الحفلة كان رائعاً مع دخول عارضات الأزياء على وقع الموسيقى بينما السقاة يقدمون طبق البداية لوجبة المساء.

نظرت هانا إلى طعام البحر الموضوع بفن وسط سلطة خضراء، فأكلت القليل منه، بعد أن فقدت قابليتها للأكل لوجود ليس عدواً واحداً

فقط بل عدوين، إلى جوارها.

كان يمكن لها أن تتخلى عن أي شيء لتخرج من الحفلة، وتستقل سيارة أجرة تعود بها إلى المنزل. إلا أن هذا يعتبر هروباً، وكرامتها تمنع مثل هذا الخيار.

تظاهري.. حثها صوت صغير، تصرفي وكأن لا هم لديك في كل الدنيا.

طلب ميغيل العصير، وأشار إلى الساقي أن يملأ لها كأسها، ونظرت هانا إليه متسائلة والتقطت ابتسامة خفيفة تلوي أطراف فمه، واللمعان الثابت في عينيه وهو يرفع كأسه بتحية صامتة لها.

كان بالطبع، يعرف من هو لوك دوبوا والدور الذي لعبه في حياتها.

سألت هانا بهدوء وهي تلامس كأسها بكأسه، وترفع حاجبيها متسائلة: «لماذا هذه التحية؟ للتشجيع؟».

ـ وهل تحتاجين للتشجيع؟

هزت رأسها قليلاً، إيجاباً وقالت بشيء من السخرية: «ستكون هذه الأمسية كالجحيم».

ـ هل تريدين المغادرة؟

اتسعت عيناها.. وهل سيفعل هذا من أجلها؟

ـ لا.

كان صوتها ثابتاً، لكن ضربات قلبها تسارعت.

أنهت العارضات دورهن، وأعلن المذيع عن ممثل هزلي معروف، قدم بضع نوادر فيما جيش من السقاة يزيل الأطباق، ويهتم بتلبية طلبات الضيوف من الشراب.

قدم مغنيان وصلتين.. ثم عادت العارضات بعدئذ إلى المنصّة لعرض شامل لملابس السهرة.

بينما كان الطبق الرئيسي يُقدم، اختارت كاميل أن تشغل اهتمام ميغيل

بغنج عابث جعل هانا تصرّ أسنانها بغيظ.

قالت ايليس همساً: «هل يفوتني شيء هنا؟ أم أن كاميل الجميلة تعبث مع ميغيل؟».

تمتمت هانا: «هذا إذا استجاب.. إنه كاللحم الميت».

ـ وهل لوك هو ستارة للتغطية أم ذخيرة؟

ـ كلاهما كما أتصور.

لانت قسمات ايليس تعاطفاً: «عليك السير بحذر».

إنه وقت مناسب لزيارة غرفة الزينة، فاعتذرت، وتركت كرسيها.

بإمكان ميغيل أن ينشغل في حديث مهذب مع كاميل لو أراد، لكنها ليست مضطرة لأن تبقى وتراقب كاميل تمثل دورها.

وقفت ايليس: «سأذهب معك».

شقتا طريقهما معاً نحو أحد المخارج. وتوقفت هانا تحيي بعض الأصدقاء وهي تمر في القاعة.. وقضت وقتاً غير ضروري لإصلاح زينتها.

انضمت ايليس إليها، وضغطت يدها على خصرها، ثم تأوهت، وعادت إلى الاختفاء في أحد الحمامات، لتعود وتبرز من جديد وهي شاحبة ومرهقة.

قالت هانا وقد فهمت سريعاً: «أنت حامل؟».

ابتسمت ايليس ابتسامة شاحبة: «بعد صبيين، يجب أن تكون هذه المرة بنتاً، إنها تؤكد على شخصيتها بطريقة لم يقم بها أي من الصبيين».

قالت هانا بابتسامة خبيثة: «آه.. أعتقد أن اليخاندرو يعرف؟».

ـ يجد الأمر مسلياً بشكل لا يصدق.

ـ طبعاً.. سوف يفتتن بها لحظة ولادتها، ويكون تحت أمرها خلال دقائق.

تبللت عينا ايليس: «إنه أب رائع».

ـ هل أنت الآن بخير؟

ـ أجل.. أنا أتقيأ بصورة منتظمة وسط الفطور ووسط العشاء.

فتحت حقيبة السهرة وأخرجت منها معجوناً وفرشاة أسنان: «قبل هذا وبعده.. أنا على ما يرام».

بعد دقائق، وبعد أن أصلحتا زينتهما، تحركتا نحو الباب، لتريا اليخاندرو يقف في الردهة الخارجية المجاورة.

وتنفست هانا بصمت.. يا إلهي، إن ايليس أثمن ممتلكاته، يبدو هذا جلياً من طريقة نظرته إليها، ومن ذراعه الحامية التي أحاطت خصرها فوراً.. لغة جسد قوية ومثيرة.

لا بد أن مشاركة مثل هذه المشاعر أمر رائع، أن يجد المرء نصفه الآخر ويختبر وجوداً تاماً ومكتملاً. وعادا معاً إلى الطاولة، فنظر ميغيل إلى هانا نظرة ذات معنى وهي تعود إلى مقعدها.. وكانت مستعدة أن تقسم أنها لمحت لمعان تسلية في نظرته، وهي تمد يدها لتأخذ كأس العصير.

ـ لقد بردت وجبة طعامك.

وأشار إلى أحد السقاة وطلب طبقاً آخر لها.. فتم هذا بسرعة.

ـ لست جائعة حقاً.

قال ميغيل بنعومة: «وإن يكن.. ستأكلين شيئاً».

ورأى عينيها تتسعان وهو يرفع يده ليلامس طرف خدها بأصابعه، فسألته: «ماذا تفعل؟».

شكّل فمه زاوية مثيرة: «هذا يسمى طمأنينة».

ـ واجب الزوج الملاطف.. هه؟

ـ شيء من هذا القبيل.

ـ لمصلحة كاميل؟

ـ بل لمصلحتك.

أوه.. إنه يتصرف بشكل ممتاز الى درجة تجعل أي إنسان يراقبهما لا

يشك لحظة في صدق مشاعره. وكان يمكنها سماع التعليقات الهامسة: خمسة عشر شهر زواج.. وانظروا إليهما.

ابتسمت له ابتسامة مشرقة: «احذر كويردو.. أنت على وشك الوصول إلى مرحلة المبالغة».

لامس شفتيها بإصبعه: «أتعتقدين هذا؟».

خفتت الأنوار، وسلّط الضوء على المذيع، ليعلن منظمو الحفلة الخيرية المبلغ الذي جُمع من حفلة الليلة.. ونبهوا الضيوف إلى موعد الاحتفال التالي، وأشاروا إلى عودة الممثل الهزلي.

بطريقة ما أبدلت كاميل المقاعد لتجلس إلى جانب ميغيل.. واضطرت هانا إلى استجماع قوة ارادتها بينما هي تلعنها في سرها.

حركت هانا الطعام المزيّن في طبقها، وتناولت شيئاً منه بشوكتها، ثم دفعت الطبق جانباً.

استغلت كاميل كل الفرص لتجذب انتباه ميغيل من تمرير أظافرها المطلية بالأحمر على كم سترته، ولمسها ليده، وابتسامة تعكس براعتها في مجال الإغواء.

ظهرت العارضات للعرض النهائي بينما كانت الحلوى تُقدم.. ثم جاء السقاة بالقهوة في حين راح ثنائي غنائي ينهي حفل المساء.

وتعالت الموسيقى مع تأثيرات ضوئية خاصة.. فانطلقت بهذا أول مجموعة من عدة اسطوانات في موسيقى خلفية مع أصوات مسجلة تشجع المترددين على الرقص.

هذا هو وقت اختلاط الضيوف، التنقل بين الطاولات، والاجتماعيات بين أصدقاء موجودين.

أعلن اليخاندرو وايليس نيتهما المغادرة. ووعدت ايليس بسرعة: «غداً سنتكلم. لقد نظم الرجال رحلة بحرية وغداءاً في الهواء الطلق».

وهما يغادران، تقدم من طاولتهما أحد المعارف ليكلم ميغيل، وتسللت كاميل عبر الجمع متجهة إلى مخرج القاعة.. اعتذر ميغيل ثم تحرك بضع خطوات مبتعداً، وفي بضع ثوانٍ أحست هانا أن شخصاً ما احتل مقعد ميغيل: «كيف حالك هانا؟».

كان الصوت الرجولي مألوفاً.. واستدارت ببطء لتواجه الرجل.

ردت ببرود: «لوك. صدقني، لا ضرورة لهذه المجاملات، ليس لدي شيء أقوله لك».

قال لوك ساخراً: «باردة جداً.. لا زلت أميرة الثلج، كما أرى».

ـ هل تتوقع أن أصدق بأن وجودك هنا محض مصادفة؟

هز رأسه ساخراً: «يمكن أن نستمتع بحديث.. ثلاث سنوات هانا. لدينا ما فاتنا قوله».

ـ لا.. ليس لدينا شيء.

صوّب ابتسامة لتذيب قلبها وقال: «لماذا عزيزتي؟ لطالما كان الأمر جيداً بيننا دائماً».

أحست بالغضب يشتعل داخلها، وردت ببرود: «غريب.. ذكرياتنا لا تتطابق».

ورمقته بنظرة مثلجة ثم أضافت: «لذا، دعنا نتوقف عن التظاهر.. هل هذا ممكن؟».

فتح يديه بإيماءة معبرة: «ومن يتظاهر؟ كنت مولعاً بك».

ـ كلمات.. لنفترض أنك ستقول لي لماذا أنت هنا بالضبط؟

ـ في هذا الحفل؟

ـ أوه.. بحق السماء، توقف عن التلاعب، تعرف جيداً ما أعني.

ـ وهل أنت مستعدة لسماع الوقائع.. عزيزتي؟

مستعدة كما يجب أن أكون دوماً! ولم تجب، بل نظرت إليه نظرة عاصفة، تقول الكثير.

تنهد: «سيكلفك هذا».

ـ لا.. لن يكلفني شيئاً. أنت مدين لي بعيشك حياة رغيدة على حساب كرمي الغبي.

ابتسم ساخراً: «متى أصبحت ساخرة هكذا؟».

ـ منذ ثلاث سنوات.

ـ حسن جداً.. هذه المعلومة على حسابي من أجل الأيام الماضية.

ردت بصوت بارد كجبل جليدي: «شكراً».

ـ كاميل أرسلت بطلبي.. ودفعت أجرة السفر، وتدفع ثمن إقامتي.

رفعت حاجبها: «وأنت تنوي اللعب على الحبلين؟».

هز كتفه من دون اكتراث: «هذا كلامك، وليس كلامي».

نظرت هانا إليه بدقة، ورأت القسمات الوسيمة، واللمعان الخليع الواضح في تعابيره. وتساءلت كيف بحق السماء أمكنها أن تترنح تحت سحره.. ابتسامته الكهربائية لم يعد لها تأثير إطلاقاً.

ـ اذهب واصنع لنفسك حياة، لوك.

رد بهدوء: «كلمة تحذير حبيبتي.. كاميل تريد تنفيذ مهمة».

ـ وكأنني لا أعرف؟

ـ ارقصي معي.. فقد تقنعيني بقول المزيد.

إنه غير معقول!

ـ لا.. حتى ولو أن حياتي تعتمد على ما ستقول!

ارتفع حاجبه سخرية: «ربما أنت على حق».

ونظر نحو ميغيل: «لا يبدو ميغيل سانتاناس رجلاً من النوع الذي يمكن أن يشارك بإرادته».

لا.. هانا توافق على هذا! وكتمت رجفة خفيفة.. فتملّك ميغيل لا يتجزأ.

قال: «ربما نشرب معاً فنجان قهوة في مكان ما ونتكلم عن الأوقات

القديمة».

إنه عديم الاحساس، وما قاله يثير الضحك.

ـ لا يمكن أن تكون جاداً.

ـ بلى.. أنا جاد.

واجهته بقوة وبعينين ثابتتين: «حين تقدم تقريرك لكاميل، قل لها إنها لن تجد لنفسها فرصة بمقدار قطرة ثلج في الجحيم».

ووقفت، كانت بحاجة إلى تغيير المشهد، ولو لبضع دقائق.

استدارت بعيداً عن الطاولة لترى ميغيل يقف على مسافة أقدام. كان يبدو مسترخياً تماماً، وقسماته الرجولية القوية تعكس الاهتمام وهو يصغي إلى ما يقوله زميله.

نظرة واحدة إلى وجهه كانت كافية لتعرف هانا أنه لم يفته شيء. كان فيهما سواد ظاهر، وغضب مكبوت، يكاد أن يكون مخيفاً.

فتقدمت نحوه، وعندما وصلت إلى جانبه وقفت مسمّرة وهو يقدمها الى زميله بعد أن أمسك يدها وشبك أصابعه بأصابعها.

دعم؟ حماية؟ تساءلت. أم أنه يثبت حقه بها؟ فعل صريح؟

اعتذر الزميل وعاد إلى طاولة قريبة.

وسألها ميغيل: «هل نغادر؟».

ابتسمت له هانا ابتسامة مذهلة، ثم رفعت يدها تمرر أصابعها على فكه: «وتفسد تسلية كاميل؟».

رفع يدها وطبع قبلة على كفها، وهو يلحظ الطريقة التي اسودت فيها عيناها واتسعتا، وارتجفت شفتاها قليلاً. ولوهلة متناهية في الصغر بدت ضعيفة حقاً.

قال ميغيل بلطف: «تبدين كقطعة زجاج توشك أن تتحطم.. إلى البيت، كما أعتقد».

ارتفع ذقنها قليلاً، وإستجمعت ابتسامة واهنة: «أنا في الواقع بخير،

www.elromancia.com

كما أن هناك موسيقى ويجب أن نرقص».

ورقصا قليلاً وهما يتحركان وفق الإيقاع السريع، ثم حين تغيرت الموسيقى إلى وقع بطيء، ضمها ميغيل بين ذراعيه، وأبقاها قريبة منه.

إنها الجنة.. تستطيع تقريباً أن تنسى أين هما، الوقت، والمكان، وكل شيء ما عدا الرجل والمشاعر التي يثيرها فيها.

أحست بشفتيه تلمسان قمة رأسها، ثم تطيلان البقاء على صدغها.. وخرج من حلقها صوت متأوه لشدة تأثرها.

إنهما ملائمان لبعضهما تماماً.. ومن هذا القرب استطاعت أن تشعر بقوة عضلاته.

قالت: «أعتقد أننا يجب أن نعود إلى البيت».

ضحكته المنخفضة لامست أحاسيسها، وانطلقت الحرارة في داخلها، تدفيء جسمها إلى حدّ أعمى.

ـ هل أنت بحاجة لأن تعودي إلى الطاولة؟

هزت رأسها نفياً.. وسارا معاً نحو المخرج وهما يتوقفان بين حين وآخر ليكلما أحد المعارف.. وكانا على وشك المرور عبر الباب الكبير المزدوج حين التقيا وجهاً لوجه بكاميل: «هل أنتما مغادران؟».

ابتسمت هانا بأدب: «كلانا لديه بداية مبكرة غداً».

سألت كاميل بتعبير لطيف متعمد: «متعبة حبيبتي؟ لا بد أن ميغيل يجد النقص في النشاط عندك..».

وصمتت للحظة ثم تابعت: «.. مزعجاً قليلاً».

قالت هانا بحلاوة: «ربما كلمة متعبة تعبير مهذب».

وكتمت أنفاسها لرؤية الكره الصرف في عيني كاميل قبل أن تخفيه بسرعة.

ـ ليلة سعيدة.. كاميل.

ولم يكن أمام السمراء المذهلة الجمال سوى أن تتراجع برشاقة.. على أي حال، كان هناك الوعد.. لا بل التهديد، بأن هذا ليس سوى بداية حملة كاميل.

وبينما كان ميغيل يتجه بالسيارة نحو شوارع المدينة، التزمت الصمت وهي غارقة في لجة من الأفكار التأملية.

كانت الصحافة قد أسهبت في تكهناتها أثناء خطبتها لميغيل.. والعناوين فوق صور عرسهما أعطت الانطباع بأن الاتحاد مدبر، مما أثار الحدس العام، وأضاف الوقود إلى مقالات الشائعات الاجتماعية.

على أي حال، أكثر من سنة على الدرب جعلت التخمينات تخف.. واستقرا بسهولة في الزواج، والعمل والالتزامات الاجتماعية.

ـ أنت هادئة.

نظرت هانا إلى ميغيل ولم تستطع قراءة الكثير من تعابيره في عتمة السيارة.

قالت بسخرية: «كم أنت دقيق الملاحظة».

ـ هل تزعجك كاميل؟

ـ وذكي كذلك.

انتظر لحظة ثم سأل: «ولوك؟».

ليس ضرورياً أن تفكر: «هذا تاريخ قديم».

ـ لم يبدُ هكذا من حيث كنت أقف.

جذبت نفساً عميقاً، ثم زفرته ببطء، وردت بضحكة غير مرحة: «كان يجب أن تقف في مكان أقرب.. لكنت عندها سمعتني وأنا أقول له إنّ عليه أن يعيش حياة لائقة به ويبقى بعيداً عن حياتي».

ـ هل كان هذا محتوى حديثكما؟

كانا قد وصلا شارع «توراك» واستدارا إلى شارع سكني فخم.

فقالت معترفة له: «أوه.. هناك تفصيل واحد آخر».

استدار مرة أخرى وأبطأ سيره قبل الوصول إلى البوابة الضخمة التي تحرس المدخل المؤدي إلى منزلهما.

ـ كشف لي أن كاميل تضعك أمام عينيها بثبات، وأنها ستذهب إلى أي مدى لتحصل عليك.

راقبته وهو يشغل التحكم عن بُعد ليفتح البابين، وقاد السيارة إلى الأمام في الطريق الداخلية العريضة. وارتفع باب المرآب آلياً بلمسة من جهاز تحكم آخر، ثم أقفل بعد ثوان حين أطفأ ميغيل المحرك.

خرجت هانا من السيارة، وسارت نحو الباب الموصل إلى داخل المنزل. وانتظرت ليهتم ميغيل بالقفل، ثم تحركت إلى البهو.

قال بسخرية متعمدة: «حقاً؟».

وتوقف عند أسفل السلم الجميل وتأملها متفحصاً: «وهل دوره دور الشريك في مشروعها الشيطاني؟».

ـ أجل.

حذرها بنعومة: «كوني حذرة كويريدا. لقد جرحك يوماً ولن أسمح له أن يجرحك مرة أخرى».

وجاهدت للتغلب على مزيج معقد من المشاعر: «أنت.. لن تسمح؟ لا داعي للعب دور الزوج الغيور!».

ـ أفضل كلمة الحامي.

لم يتحرك، لكن، كان إنطباعها أن جسده تصلب، فغزا الارتباك بشرتها.

ـ لوك..

قاطعها بصوت هادىء وخطير: «.. كان يحتل جزءاً من حياتك قبل إرتباطك بي».

تماماً مثلما احتلت نساء عدة جزءاً من حياته دون شك.. واستقر إحساس بالفراغ في أعماق نفسها، متجهاً نحو قلبها. يا للسماء.. مجرد

التفكير بمن هن وكم عددهن يجعلها تشعر بالضيق.

حافظت هانا على نظرته لثوان عديدة، ثم مرت به وتحركت بسرعة تصعد السلم.

واستقر الإحساس بالفراغ في قلبها وهي تقطع الرواق نحو غرفة النوم. في الداخل بدأت تخلع قرطيها الماسيين، ثم مدت يدها إلى قفل العقد.

دخل ميغيل الغرفة، وخلع سترته، وفك رباط حذائه، وتخلص من جواربه.. وربطة عنقه، ثم خلع القميص.

اللعنة.. ماذا حصل لقفل العقد؟ ولعنته من بين أنفاسها، ملحقة هذا بلعنة أخرى مع تقدم ميغيل إلى جانبها.

ـ قفي جامدة.

كانت تشعر بوجوده بشكل لا يصدق.. الهالة البدائية تآلفت مع رائحة بشرته النفاذة ودفء جسمه المثير، كان هناك جزء منها يريد أن يتغلغل فيه، ودّت أن ترفع وجهها ليقبلها.. بينما جزء آخر أراد أن تضرب صدره بقبضتيها.

ألا يعرف كم تشعر بأنها ضعيفة؟ كم تشكّل كاميل خطراً عليها؟ أما لوك.. فلا تستطيع أن تثق به أبداً.

قال: «يا إلهي..».

واسودت عيناه، وتحرّكت عضلة على أطراف فكه.

ـ أتظنينني غير قادر على رؤية كاميل على حقيقتها؟ ثقي بشيء من ذكائي يا عزيزتي.

فردّت: «إنها تسعى إلى جسدك.. لا إلى ذكائك».

سأل بنعومة باردة: «وهل تتصوّرين أنني قد أنزلق بسهولة إلى فراش امرأة أخرى؟».

ولم تستطع سوى النظر إليه.. ورأسها مليء بالصور التي تطاردها

والتي تكاد تدفعها إلى حافة الجنون.

أخيراً تمكنت من أن تقول بهدوء: «لقد وعدنا بعضنا بالإخلاص».

ـ ولا سبب يدعو للشك في وعدي.

ـ ولا وعدي.

وبحثت عيناه في عينيها، ليرى فيهما ما هو أبعد من السطح، وهو يعي ضعفها، وسببه، ولعن كاميل بصمت لتعمدها نسف راحة بالها.

خفض رأسه وعانقها ببطء مداعباً إلى أن لفت ذراعيها حول عنقه وبادلته العناق.

إنها تحب وجوده قربها، تحب نعومة بشرته، وعرض منكبيه الرائع، وصدره القاسي وجذعه المشدود.

هل قالت شيئاً بصوت مرتفع؟ إنها لا تريد معرفة ذلك ولا تهتم سوى بهذه اللحظة التي لم يكن فيها سواهما.

غمرتها مشاعر الرضى لأنها قادرة على جعله يفقد سيطرته على نفسه تماماً وهو بين ذراعيها.

أرادت أن تطمئنه.. أن تفهمه بطريقة ما، أنها ولأول مرة أحست بطعم سلطتها عليه وأنها انجرفت معها تماماً.

وحين ضمها إليه، جعل من ذراعيه درعاً واقياً لها، وأحست بشفتيه على شعرها، وعلى أطراف خدها، وأدناها منه بشدة..

أحست بضربات قلبه على خدها.. وفي حماية وأمان ذراعيه، أغمضت عينيها، وانزلقت إلى نوم هادىء لا أحلام فيه.

وفي وقت لاحق عند ساعات الفجر الأولى، استيقظت وأحست بفقد الدفء البشري، فمدت يدها تبحث عنه، لكنها وجدت الفراش فارغاً. وبحذر رفعت رأسها وفتشت الغرفة المعتمة.. ورأته، كان يقف أمام الستائر المفتوحة جزئياً، ينظر إلى الخارج نحو الحديقة المظلمة.

غادرت السرير ببطء وتقدمت لتقف خلفه، وعرفت من حركته

الخفيفة أنه تنبّه لحركتها، ووقع قدميها الصامت.

لفت ذراعيها حول خصره، واستندت إليه، تضمه إليها.

وبعد دقائق طويلة، أغمضت عينيها..

عادا إلى السرير حيث ضمها بين ذراعيه.

هل سيكون الحال هكذا دائماً؟ تساءلت وهي تتأرجح على حافة النوم.

حياة جميلة، رائعة تخطف القلب.. حنان، افتتان، احترام.. لكن من دون حب.

هي التي أقسمت ألاّ تتورط عاطفياً مع أي رجل.. لم يكن أمامها خيار.

قلبها ملك لميغيل.. ولطالما كان كذلك، وسيبقى دائماً.. أراد ذلك أم لم يرده.

***

٦ ـ الخدعة

تمتمت ايليس وهي تسترخي تحت القسم المظلل من المركب الذي استأجره ميغيل لقضاء اليوم: «رائع».

سوّت هانا نظارتها الشمسية وابتسمت بينما كانت ايليس تشد طرف قبعتها نزولاً لتغطي وجهها من أشعة الشمس القوية.

كانوا في العاشرة صباحاً قد إستقلوا معاً السيارة إلى «ويليامز تاون»، حيث قام ميغيل بإستئجار مركب فخم مع قبطانه ليبحر بهم في المياه المتلألئة.. ليعودوا بعد الظهر.

أكملت ايليس برضى: «لا هاتف، لا زوار، لا مئة شيء وشيء نفعله».

وما من مجال لامرأة فرنسية عنيدة أن تتطفل.. أضافت هانا بصمت، غير قادرة على منع نفسها من التساؤل عمّا ستكون عليه خطوة كاميل التالية.

كان ميغيل واليخاندرو جالسين في المقدمة.. كلاهما يرتدي ملابس بسيطة، بنطلون كاكي، وقميص قطني، ويضع نظارة ويعتمر قبعة بايسبول.. ورأت هانا أنهما يشبهان رجلي أعمال يسترخيان في يوم راحة نادر.

كل ما عليها فعله، هو النظر إلى ميغيل، لتشعر بأنها تذوب من الداخل.. وأنّ المشاعر الجامحة، المنتشرة في جسدها، تدفىء دمها

وتوتر أعصابها لتجعلها تنبض بالحياة.

كان من المستحيل ألاّ تحيا مجدداً الحب الجامح الذي تشاركاه منذ أقل من اثنتي عشرة ساعة.. وبقدر ما يبدو هذا جنوناً، أقسمت أنها لا زالت تشعر بذراعيه حولها.. وأن هناك جزءاً ما زال متشوقاً للمسته.

في تلك اللحظة، استدار ورمقها بنظرة طويلة متفحصة. ولبرهة واحدة، كادت تتصور أنه يقرأ أفكارها، ثم التوى فمه بابتسامة بطيئة مثيرة، أفقدتها رباطة جأشها.

قالت ايليس مستمتعة: «قد يكون الغداء فكرة جيدة».

سألت هانا بمرح: «وهل الصغير جائع؟».

ووجدت نفسها تضحك لتعبير وجه ايليس.

ـ للآنسة الصغيرة أفكار محددة حول متى وماذا يجب أن آكل.

ووقفت تمرر يديها على بطنها الذي بالكاد يبرز.

ـ اليوم عندي شوق للحم والمايونيز، والخيار المخلل والأناناس.

لحسن الحظ، كانت صوفيا قد وضبت مجموعة متنوعة من الطعام في سلة نزهات، إضافة إلى الخبز الفرنسي، والسلمون، والدجاج، وتشكيلة سلطة.

دخلت هانا إلى «الكابين» لتحضر السلة، ثم بمساعدة ايليس وضعت محتوياتها على الطاولة إضافة إلى زجاجات المرطبات والماء، ونادت الرجلين ليأكلا.

الهواء النقي، والنسيم العليل استمرا لبضع ساعات مبهجة.. ونزلوا عن ظهر المركب، ثم سلكوا الطريق الساحلية إلى «بورت فيليب» قبل العودة إلى «توراك».

حفلة شواء لثمار البحر، مع بدء حرارة شمس بعد الظهر أكمل يوم الاسترخاء مع الرفقة الجيدة.. جمعت هانا الأطباق والصحون فوق

صينية، وحملتها إلى الداخل.

لحقت بها ايليس، ومعاً غسلتا الصحون ووضعتاها في غسالة الصحون في وقت قصير.

نظفت هانا المقعد الخشبي، ثم توقفت حين لمست ايليس ذراعها.

ـ هل لي أن أقول شيئاً؟

استدارت هانا معطية ايليس كل اهتمامها: «طبعاً».

ـ كان هناك امرأة تلاحق اليخاندرو حين كنت حاملاً بابننا الأول.. كانت ساقانا مصدر إزعاج منهك وتسببت لي بحزن كبير في ذلك الوقت.

ابتسمت قليلاً للذكرى: «وإذا لم أكن مخطئة، فلديك لعنة مماثلة اسمها كاميل».

جذبت نفساً عميقاً، ثم زفرته ببطء: «شيء واحد تعلمته قد يساعدك.. رجال سانتاناس مخلصون لامرأة واحدة».

سألت هانا ساخرة: «إذن، لا داعي للقلق من كاميل؟».

صححت لها ايليس بلطف: «لا تقلقي من ميغيل».

صمتت وقد غامت عيناها وشحب لونها: «ها قد عدنا مجدداً».

ورفعت عينيها متأوهة قبل لحظة من خروجها السريع من المطبخ.

دخل ميغيل واليخاندرو المنزل بينما كانت ايليس تعود من مهمتها البائسة.. ووضعت هانا القهوة لتصفو، وراحت تحضر الفناجين والسكر والحليب.

طلبت ايليس: «شاي لي».

وحملت هانا صينية: «لماذا لا تجلسين قرب بركة السباحة، وسأحضر الشاي لك بعد دقائق؟».

كان مبهجاً الاسترخاء في جو المساء الهادىء، ومراقبة الشمس وهي تغيب. أنوار الحديقة أضيئت بواسطة جهاز تحكم عن بعد، والإنارة الإضافية حول البركة أضفت وهجاً زاده تألقاً الإنارة داخل الماء.

إنها أرض خيال خاصة.. معزولة، هادئة، وطريقة استرخاء رائعة لإنهاء يوم جميل.

لفظت إيليس الكلمات.. ووافقتها هانا.

قال اليخاندرو بهدوء: «حان وقت الذهاب كوريدا.. أنت متعبة».

لمعت عيناها مرحاً: «وهل أنا متعبة؟ إذا كنت تقول ذلك».

منذ متى وهما متزوجان؟ عدّتْ هانا.. ست أم سبع سنوات؟ ومع ذلك فالحب الشديد ما زال قائماً، يشتعل تحت السطح مباشرة.. ولا بد أنه سيبقى دوماً حسبما تتصور هانا وإن لم يكن كذلك في البداية.. وقفت مع ميغيل عند الباب الأمامي، وراقبت أنوار السيارة المستأجرة تلمع في الظلام. هذا زواج مدبر، سار في طريق خاطئة، ولم تنجُ ايليس إلا بعد أن تعرّضت لحادث سيارة، وعانت فقدان الذاكرة.

سألت هانا وهي تستدير عن الباب: «المزيد من القهوة؟».

رفض ميغيل وهو يقفل الباب ويشغل جهاز الإنذار.

ـ لا.. بل سأجهز حقيبتي، لأن اليخاندرو سيأتي لاصطحابي في الساعة السابعة والنصف إلى المطار.

سيستقلان طائرة شركة سانمار النفاثة الخاصة بهما عبر قارة أوستراليا إلى بيرث.

ومن دون أن تتكلم، قطعت البهو معه وصعدت السلم إلى غرفتهما حيث راقبته وهو يجلب حقيبة جلدية ويرمي فيها بضع قمصان، وبنطلونين، إضافة إلى ضروريات أخرى.

فكرة غيابه لبضعة أيام لم ترضها أبداً، فأخذت قميص نوم حريري، ودخلت الحمام لتستحم.

أحست أنها ضعيفة حقاً وهي تفكر فيه وبغيابه.

وعلقت أنفاسها في حلقها حين أمسك وجهها وراح يعانقها بلطف إلى أن لم تعد قادرة على منع نفسها من البكاء.

انقضت فترة قبل أن يندّسا تحت الأغطية، ليناما.

الوداع كان أصعب من قبل.. أرادت أن تطلب منه ألاّ يذهب إلا أن الكلمات خانتها واحتبست في فمها لكنها تمكنت من أن تستجمع ما يماثل ابتسامة دافئة وهو يعانقها بسرعة قبل أن يتحرك إلى السيارة ويجلس في المقعد الأمامي إلى جانب اليخاندرو.

لحسن الحظ، لم يكن هناك وقت شاغر للتفكير برحيل ميغيل فعادت إلى غرفة الطعام لتنهي ما تبقى من فطورها، وتتصفح الصحيفة قبل أن تصعد السلم لتستعد للذهاب إلى العمل.

تبين أن البائعة البديلة التي أرسلتها وكالة التوظيف، أفضل بكثير من شانتال، وبدأت هانا تسترخي مع تقدم فترة الصباح.

اتصلت رينيه تسأل كيف تتكيف الفتاة الجديدة مع العمل. واتصل ميغيل ليقول إنهما وصلا بيرث.

حين رن جرس الهاتف مجدداً بعد دقائق، رفعت هانا السماعة آلياً وتلفظت بتحيتها المعتادة: «صباح الخير هانا؟».

كان الصوت في الجهة الأخرى من الخط مألوفاً.. ومألوفاً جداً، صوت لا تود سماعه.

ـ كيف حصلتَ على رقم هاتفي؟

سؤال سخيف.. وبخت نفسها لحظة انزلقت الكلمات من شفتيها.

قال لوك متشدقاً بمرح ساخر: «عزيزتي هانا.. لمحلك اسم معروف، وهو مسجل في دليل الهاتف».

علاقة كاميل بهذا واضحة.

ـ ماذا تريد؟

قال معاتباً بصوت ناعم: «آه عزيزتي.. إلى الهدف رأساً».

قالت بصوت رسمي جاف: «لا وقت لدي لتبادل الحديث».

ـ إذن قابليني لشرب القهوة.

ـ لا أعتقد هذا.

ـ يجب أن تتوقفي عن العمل لتناول الغداء؟

ـ أجل، لكنني لا أنوي أن أتناوله معك.

ـ خائفة حبيبتي.

هل كان دائماً متعجرفاً لا يطاق هكذا؟ وكادت أن تتقزز لفكرة أنها انجذبت إليه يوماً.

ـ منك؟ لا.

أعادت السماعة إلى مكانها، واستدارت نحو كمية من الفواتير تنتظر اهتمامها.

دخلت زبونة المحل وراقبت هانا ايليان خلسة وهي تتحرك إلى الأمام بتحية متمرسة. وخلال ساعات فقط كانت الفتاة تظهر قيمتها، وأحست هانا بارتياح حذر.. فسوف تنجح.

أخذت ايليان فرصة الغداء منتصف النهار ولدى عودتها بعد ساعة، قطعت هانا الشارع إلى المقهى الذي ترتاده عادة، فالطعام هناك جيد والقهوة ممتازة.

أدركت خلال ثوان من دخولها المقهى المكتظ، أنها ارتكبت غلطة كبيرة.. فاعتياد المرء على أمر محدد له مساوئه.. لأن أي شخص يعرف روتينها المعتاد، سيعرف أن هذا المطعم بالذات هو مقصدها المفضل لتناول الغداء.. سواء اختارت طعاماً تأخذه معها، أم قررت تناوله هناك.

كان لوك دوبوا يجلس إلى طاولة تطل على الشارع.. وهو يبدو ابن المدينة المحنك المسترخي كما يدّعي نفسه.

إذن.. لماذا لم تدهشها رؤيته؟ لوك، لا يفعل شيئاً من دون دوافع. وهذا ما زاد في قلقها الذي بدا واضحاً.

حيّاها لوك بدفء متعمد: «مرحباً عزيزتي.. كنت أعرف أنني لو

www.elromancia.com

جلست هنا وقتاً كافياً فلن يمر وقت طويل حتى تصلي».

ـ يجب أن أتذكر أن أغير مكان تناولي الطعام.

ومن دون كلمة أخرى، استدارت على عقبيها وخرجت ثانية.

كان في الشارع مطاعم أنيقة مماثلة.. وسوف تذهب إلى مكان آخر.

بعد خمس دقائق كانت تجلس إلى طاولة وقد أعطت النادل طلبها حين اندس شخص في المقعد المقابل.

قال لوك للساقي: «مهما كان طلب السيدة، اجعله طلبين».

نظرت هانا إليه نظرة جليدية: «ماذا تحاول أن تفعل بحق الجحيم؟».

أشار بذراعه: «نحن في مكان عام».

ثم هز كتفيه وسألها: «لماذا لا يكون الغداء مع شيء من الذكرى؟».

رفعت هانا حاجبيها متسائلة: «ولأي هدف؟».

حاول أن يبدو مخذولاً.

ـ لماذا عزيزتي.. قضينا أوقاتاً طيبة معاً.

ابتسمت له بمرارة: «لزمني ثلاثة أشهر لأكتشف أن سحرك كان تمثيلاً».

ـ ليس طوال الوقت.

لم تعر كلامه أهمية تُذكر: «أوه.. أرجوك.. الجاذبية كانت باتجاه حساب أبي المصرفي ودخلي السنوي.. أما أنا، فلا صلة لي بالأمر».

جاء الساقي بكوبين من القهوة بالحليب، وفتحت مكعب سكر ورمت محتوياته في السائل. وفعل لوك مثلها.. قالت تصل رأساً إلى لب الموضوع: «كم دفعت لك كاميل لتفعل هذا؟».

فتح يديه بإشارة استرخاء: «وما دخل كاميل بانتظاري لمشاركتك القهوة؟».

ـ لا تظنني حمقاء.

وصل النادل يحمل طبقين من الطعام، يحتوي كل منهما على

سندويش سلطة، وحين استدار مبتعداً لمع ضوء آلة تصوير قريبة، ولمحت مصوراً فوتوغرافياً يسارع في الخروج.

قال لوك بابتسامة ساخرة: «دفعت ثمن السفالة».

في لحظة عابرة وضح كل شيء. فوقفت هانا، بحركة غاضبة، وأخرجت من حقيبتها ما عليها من حساب ورمته على الطاولة ثم خرجت إلى الشارع.

اللعنة.. كان يجب أن ترى في هذا خطة مدبرة! لوك يلعب لصالح من يدفع الثمن الأعلى. وهي هنا كاميل، وهذه خطوة أخرى في الطريق الشيطاني نحو هدفها الرئيسي.. ميغيل. والآن، هناك دليل مصور.. لقد تشاركت هانا وجبة طعام مع لوك. ولا يحتاج الأمر ذكاءاً خاصاً لمعرفة كيف تنوي كاميل استغلال الصورة.

تعالى صوت زمور سيارة.. فتوقفت هانا فجأة. وهمست مرتجفة: «يا إلهي العزيز..».

وأدركت أنها تجاوزت الرصيف إلى الشارع.. تماسكي!

بعد دقائق دخلت المحل، ولمحت نظرة ايليان المتعجبة.. فابتسمت بكآبة، وقالت:

ـ بهذا السوء.. هه؟

ـ هل أنت بخير؟

حاولت هانا استعادة رباطة جأشها.

ـ لم تسر الأمور كما أشتهي.

ـ شخص ما؟

ـ أنت طيبة.. هل حصلت أيّ مشكلة وأنا غائبة؟

ـ بعت قميصين، ومنديل، وسجلت طلبين.

ـ أحسنتِ.

ـ لم يطل غيابك.. هل تناولت الطعام؟

ـ فقدت شهيتي.

أوليست هذه هي الحقيقة؟

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة حين وصلت البيت.. وتناولت الوجبة التي حضرتها صوفيا لها.. ثم دخلت المكتب لتتصل بميغيل على هاتفه النقال.. لكنها سمعت رسالة صوتية.

لعله خرج مع اليخاندرو للعشاء. وتركت له رسالة، ثم استحمت وارتدت بنطلون جينز، وقميص قطني.

اتصلت أمها. وقبلت هانا دعوتها على العشاء في الأمسية القادمة.. وتبادلنا حديثاً مطولاً لمعرفة أخبار بعضهما. بعدها شاهدت فيلماً تلفزيونياً قبل أن تأوي الى الفراش محاولة القراءة.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة حين أجفلها رنين جرس الهاتف فجأة، مما إضطرها لرمي الكتاب وإلتقاط السماعة. وأطلقت شتيمة موجزة بعد أن انزلقت السماعة من يدها.

بعد ثوان، تمالكت نفسها ونطقت بالتحية. سمعت عبر الهاتف صوت ميغيل الأجش: «هل أيقظتك؟».

قالت فوراً: «لا، كنت أقرأ».

ضحكته المنخفضة جعلت جسمها يقشعر.

ـ لقد تركت لي رسالة لأتصل.

ترددت، ثم اختارت موضوعاً تافهاً: «أنا.. كيف تسير الأمور؟».

سألها بصوت هادىء خطير: «ما الأمر؟».

ـ وما الذي يجعلك تظن أن هناك شيئاً خاطئاً؟

تشدق بهدوء مخادع: «كوريدا، لا تخادعي».

ـ لقد جاء لوك إلى المقهى المقابل للمحل خلال فرصة الغداء.. ورفضتُ أن أنضم إليه.

وكادت ترى قسمات وجهه تقسو: «هل هناك المزيد على القصة؟».

ـ نعم، فقد لحق بي إلى المطعم الآخر وجلس إلى طاولتي بعد أن طلبت الطعام.. ثم، حين أحضر الساقي الطعام، ظهر مصور فجأة والتقط صورتنا وكأننا نتشارك الطعام.

ـ أوقع بك.

قالت هانا ببؤس: «كان يجب أن أتوقع هذا».

ـ سأتولى أمره.

وكان صوته كالفولاذ المسنون ومماثل في الخطورة، فسألته: «ماذا ستفعل؟».

ابتسم ميغيل بتجهم على الطرف الآخر من الخط وأجاب: «سأتأكد من أنه لن يقترب منك مجدداً».

وانتظر ثانية: «وإلا سيواجهني».

ارتجفت هانا: «ميغيل..».

ـ في الغد، سيكون هناك من يحرسك ويتبعك كظلك.

وفهمت ما يعني: «لست بحاجة إلى حارس شخصي!».

ساد صمت قصير، ثم قال بقسوة: «هذا قراري هانا».

ـ ألا يجب أن يكون قراري أنا أيضاً؟

ـ تقبلي هذا كاحتياط وقائي.

تابعت وقد أغضبها استبداده: «وإذا رفضت؟».

ـ سيبقى الحارس الشخصي.

أخذت نفساً عميقاً، وزفرته ببطء: «أنا لا أحب الرجال المستبدين».

رد بإيجاز: «عنيدة.. يمكن لأليخندرو أن يدير أمر الصفقة بمفرده.. سأحضر في طائرة بعد ظهر يوم الأربعاء».

وتوترت: «لا تقطع صفقة عمل هامة لأجلي».

ـ أنت، آماني، أكثر أهمية من أية صفقة عمل.

ـ أنا.. أم مصالحي المستثمرة في مؤسسات سانمار؟

قال بنعومة باردة: «من حسن حظك أن قارة بأكملها تفصل بيننا الآن.. وإلا لكنت وبختك جيداً».

ـ لتجرؤي على قول الحقيقة؟

أحست من بعيد أنه يحاول بشدة أن يسيطر على أعصابه.

ـ سينتظر هذا.

واكتفت هانا بأن قالت: «ليلة سعيدة ميغيل».

وقطعت الاتصال.

يا للرجل المتسلط المتغطرس! حارس شخصي! هل هو مجنون؟

تناولت الكتاب، وحاولت العودة إلى القراءة، إلى القصة وشخصياتها، لكنها أقفلت الكتاب ورمته فوق السرير.

احتياط وقائي.. حقاً! وآلمت أسنانها الجزء الطري من شفتها السفلى.. من غير المحتمل أن يفعل لوك شيئاً مؤذياً جسدياً.. وتشك في أن يخاطر بحياته، أو أحد أطرافه، أو السجن، مهما كان الثمن الذي تعرضه عليه كاميل.. أم أنها قد تكون مخطئة؟

لم تكن هذه فكرة مريحة.. فكرة أبقتها مستيقظة لوقت طويل بعد أن أطفأت المصباح قرب السرير.

وغزت الكوابيس منامها.. سلسلة من الأحداث المرعبة، قوة غامضة تدفعها من الخلف بإتجاه سيارة مسرعة. والأكثر ترويعاً، قيادتها لسيارة من دون مكابح لا تستجيب لضغط قدمها حين تحتاج إليها.

* * *

٧ ـ الحارس الشخصي

كانت هانا تتناول فطورها حين رن جرس الهاتف، وردت عليه بعد الرنة الثالثة.

ـ صباح الخير.

صوت ميغيل بلكنته الخفيفة التف حول أعصابها وشد على شيء فضّلت أن تتجاهله.

ـ هل نمت جيداً؟

لا.. بل اشتقت إليك كثيراً.

ـ شكراً لك.

وبخها: «هذا ليس رداً».

هل يساعدها يا ترى أن تعرف أنه بقي مستلقياً من دون نوم حتى الفجر تقريباً؟

قالت: «هذا كل ما أنا مستعدة لأقوله».

حذرها بنعومة: «اغضبي كما تشائين كويريدا، لن يشكّل هذا فرقاً».

ـ هذا كلام غامض. أعتقد أن لمكالمتك هدفاً؟

ولم يعرف ما إذا كان يفضّل أن يضمها أم أن يدق عنقها: «ذكريني أن أضربك».

ـ ضع يداً علي.. ولسوف..

ـ هل فقدت القدرة على الكلام؟

ردت بسخرية لاذعة: «لا.. بل هناك خيارات متعددة».

ولئلا يخاطر بأن تقطع الاتصال، أعطاها تفاصيل عن الرجل الذي استخدمه ليحرسها.

- رودني سبيرس في الثانية والثلاثين من عمره، شرطي سابق، متوسط الطول، ضخم الجثة، أشقر الشعر، أزرق العينين ويقود سيارة هولدن كحلية جديدة.

وأعطاها رقم السيارة ثم أضاف: «سيصل إلى المنزل بعد عشر دقائق ليقدم نفسه».

الحارس الشخصي.. وضغطت على السماعة رامية القطة الممددة على الأرض بنظرة قاتمة جعلت الحيوان المسكين يفر هارباً من الغرفة.

- ستخبرني لاحقاً أنه خبير في القتال والرماية.

لم يجبها ميغيل، وهذا في نظرها دليل اعتراف.

- عدا عن تقديم نفسه هذا الصباح.. سيبقى متخفياً من بعيد.. ولن تلاحظي وجوده، كما لن يلاحظه أحد آخر.

قالت ساخرة: «يبدو هذا كمشهد من فيلم بوليسي رخيص».

- تساهلي معي.

- وإلى متى سيستمر هذا الخداع؟

- قدر ما يلزم.

- هل أدعوه إلى الفطور والعشاء؟

ضحكة ميغيل الخفيفة أرسلت القشعريرة في جسمها.

- له أوقات النهار كويريدا.. وسأعتني بك أنا في الليل.

ردت بسخرية: «لا ملاكي الحارس».

- يمكنك أن تشكريني.

قالت بغضب: «الإحتمال الأكبر هو أن أضربك».

- هل لديك خطط الليلة؟

- العشاء مع والدي.

- لماذا لا تبقين معهم ليلاً؟

هذا كثير.. إنه لا يحتمل!

- لقد تجاوزت السن الذي احتاج فيه جليسة أطفال.

وأخذت نفساً عميقاً لتسيطر على غضبها.

- ألست تبالغ في عملية الحماية؟

رد بخشونة: «لا.. افعلي ما أقوله، أرجوك».

- سأفكر بالأمر.

أراد أن يصل إليها عبر الخط ليهزها. العناد والاستقلالية لا يتقاربان! مع ذلك هاتان الميزتان هما ما يعجبه فيها، لكن ليس وهي على مسافة عدة آلاف من الأميال. قال: «لا أريد أن أراك منزعجة أو متألمة، كوميرندي؟».

- حسن جداً، لقد أوضحت وجهة نظرك.

وسمعته يتنهد.

- غراتسياس.

رافقت صوفيا رجلاً يتناسب مع وصف الحارس الشخصي إلى غرفة الفطور، وأخفضت هانا صوتها قائلة: «وصلت الخيّالة».

- سأطلبك فيما بعد.

اتصل بها، فأبلغته أن لوك لم يتصل أو يظهر في المقهى.

مرّ اليوم جيداً. وصلت بضاعة جديدة اختطفتها زبونات عديدات.. واتصلت رينيه لتقول إن الخطة تغيرت وإنهم سيتناولون العشاء في المطعم.

- سأذهب إلى البيت أولاً لأغيّر ثيابي ثم ألتقي بكما هناك في السادسة والنصف.

هل عليها أن تخبر رودني سبيرس؟ وفيما هي تفكر بطلب رقم هاتفه

النقال، اتصل بها ليسأل عن برنامجها الليلي.. وسجل التغيير بحذر.

تفحصت هانا المرآة وهي تخرج من موقف السيارات، فلمحت سيارة الحارس تلحق بها على مسافة قريبة.

ثم فقدته في زحمة السير لمدة ساعة، ولم تلمحه مجدداً إلا بعد أن تركت المنزل في طريقها إلى المطعم.

وفكرت بصمت.. ليس هناك ما يدعوه لأن يكون ظلاً لكل تحركاتها.. متى يأكل هذا الرجل بحق السماء؟ هامبرغر وبطاطس مقلية على الطريق؟ ويجب أن ينام في وقت ما.. بالتأكيد؟

لا بد أن ميغيل يدفع له ثروة صغيرة، لكن هذا لن يمنعها من إعطاء رودني مئة دولار ليأكل في المطعم.

قالت حين اعترض: «اعتبرها مكافأة، سأسبقك وأتأكد من أن تحصل على طاولة».

وهذا ما فعلته. وما إن جلست بضع دقائق حتى وصلت رينيه وكارلو إلى بهو المطعم.

حيّتها رينيه بلهفة: «حبيبتي.. هل انتظرت طويلاً؟ لقد علقنا في زحمة السير».

كانت أمسية بهيجة، والطعام ممتاز. كل طبق قُدم بإحساس متميز وفن، وشربت هانا العصير مع وجبة الطعام، وراحوا يتبادلون الحديث عن أخبارهم.

سألت رينيه وهي تلتقط ثمار البحر من طبق السلطة، ثم تلتهم قطعة دجاج.

ـ كيف حال سندي؟

ـ لقد خرجت من المستشفى هذا الصباح.

نظرت رينيه إلى ابنتها ملياً: «قد يتصور المرء أن ظهور لوك في حفلة جمعية مرضى سرطان الدم الخيرية كان متعمداً، وليس مصادفة؟».

هزت هانا كتفيها قليلاً: «لست أدري.. ولا يهمني».

ـ ألا يزعجك وجوده في المدينة؟

ـ ولماذا يزعجني؟ إنه ذكرى سيئة.. أفضّل نسيانها.

ـ ألم يحاول الاتصال بك؟

سألت بخفة: «ما هذا؟ استجواب؟».

فقال والدها: «يجب أن تخبرينا إذا حاول إزعاجك».

ـ لن تتاح له الفرصة.

فزوجها ذو السلطة تكفّل بهذا.. ونظرت نحو طاولة الحارس، لترى أنه يكاد ينهي طعامه.

بإمكانها أن تسرّ بهذا لأبويها.. لكن ما الجدوى من إقلاقهما؟ وصرفت النظر عن إقتراح أن تلحق بهما إلى منزلهما لتبيت ليلتها هناك فهي لم تقم بهذا في أيّ مناسبة أخرى كان ميغيل فيها مسافراً، ولو اقترحت هذا الآن، فستثير ريبتهما.. بلا فائدة؟ في رأيها، احتياطات ميغيل زائدة عن اللزوم.. كما أن المنزل والأرض المحيطة به مجهّزة بنظام أمان.

حين أخذ الساقي الأطباق الفارغة، رفضت هانا الحلوى والجبن وقبلت القهوة.. كانت وجبة متكاسلة، والأمر الجيد أنها حظيت بصحبة والديها بعيداً عن المسرح الاجتماعي.

قالت رينيه: «يجب أن نناقش أمر عيد الميلاد حبيبتي. فكرت في أن أقيم حفل غداء هذه السنة، وأدعو إستيبان».

ـ عيد الميلاد؟ ولماذا.. إنه..

ذكّرتها أمها: «إنه لا يبعد أكثر من تسعة أسابيع حبيبتي. وأول الاحتفالات الاجتماعية التي تسبق الميلاد ستبدأ الأسبوع المقبل».

يا للسماء.. هل الوقت قريب هكذا؟

ـ سأبحث الأمر مع ميغيل.. لكنني واثقة من أن الغداء سيكون أمراً رائعاً.

ـ حسن جداً.. هذه مفاجأة جيدة.

سمعت هانا كلمات أبيها قبل أن تشعر بيد تلامس كتفها.

ـ ماذا تريدين أن تبحثي معي كويريدا؟

أدارت رأسها لصوته الأجش بلكنته الخفيفة وأحست بالأرض تميد تحت قدميها.

ميغيل؟

قالت: «لم أكن أتوقع قدومك قبل ليلة الغد».

وانحنى يقبلها بخفة، مما حرّك كل أحاسيسها فصرفت بضع ثوان لتستعيد أفكارها المشتتة.

لماذا هو هنا في هذا المطعم؟

ـ لقد جئت بسيارة أجرة من المطار.

سألته رينيه بدفء وهو يجلس قرب هانا: «هل تناولت طعاماً؟».

ـ في الطائرة. على أي حال، سأنضم إليكم لشرب القهوة.

وأمسك بيد هانا رافعاً إياها إلى شفتيه، ثم شبك أصابعه بأصابعها وأراحها على ركبته.

ابتسامته تركتها مقطوعة الأنفاس.. وتشابكت مشاعرها، ووصلت بها إلى درجة الحمى بلحظات.

كرر سؤاله: «ما الذي ستبحثينه معي؟».

ليس من الإنصاف أن يمتلك رجل مثل هذه الإثارة المدمرة.. وأن تصل إلى هذا الحدّ من الضعف بنظرة واحدة منه، أو لمسة.

من مكان ما استعادت أفكارها المشتتة ونظمتها، ثم قالت: «سنبحث عيد الميلاد.. رينيه ذكرت إقامة غداء إذا رأى والدك أن ينضم إلينا».

كيف عرف ميغيل أنهم يتناولون العشاء في هذا المطعم؟

واستنتجت أنه رودني سبيرس. لا بد أن الحارس الشخصي قدم له تقريراً عن تغيير مكان العشاء.. لكن، ما الذي خطر بباله كي يترك كل

أعماله ويطير عائداً بمثل هذه السرعة؟

مهما كان السبب، يجب أن ينتظر إلى أن يصبحا وحيدين.. وتلاعبت بقهوتها، تحركها بلا واع، ثم ارتشفت المحتويات من دون الاستمتاع بنكهتها الرائعة.

بدت الساعة التي انقضت الأطول في حياتها، وتنهدت في سرها ارتياحاً حين أشار ميغيل إلى أنهما مغادران.

انفجرت هانا بالكلام لحظة دخولهما السيارة، لكن ميغيل أسكتها بفعالية بوضع يده على فمها.

ـ أي موضوع سينتظر إلى أن نصل البيت.

أرجع السيارة إلى الخلف قبل أن يتجه بها إلى المخرج.

قالت بغضب وهو يلحق بالسير المتدفق ويتجّه إلى توراك: «إلى الجحيم بالانتظار..».

نظر إليها نظرة طويلة وهو يتوقف مؤقتاً عند إشارة السير الضوئية: «ألا ترضيك فكرة أن أقطع رحلتي لمجرد أن أكون معك؟».

ـ لا زلت غاضبة بجنون حول مسألة الحرس الشخصي.

حدقت به فالتقت نظراتهما، ثم تغير الضوء إلى الأخضر فأعاد اهتمامه للطريق.

قالت: «أعتقد أن عليّ شكر رودني لتقديمه تقريراً لك عن كل تحركاتي؟».

ـ لهذا السبب أدفع له أجراً.

ـ إنها مبالغة في الإسراف.

ـ قد تغيرين رأيك حين تربن ما لدي، لأطلعك عليه.

شيء ما في رنة صوته جمّدت الرد الذي حضرّته.. وأطبقت يد باردة على قلبها. بحثت في قسمات وجهه، فلاحظت الوضعية القاسية لفكه، والتعبير الجاد الذي لم يكن يبشر بالخير.

سألت بهدوء: «إنها كاميل.. أليس كذلك؟ ماذا فعلت؟».

أدار ميغيل السيارة نحو الطريق الداخلية لمنزلهما وتوقف قليلاً لتنفتح الأبواب آلياً، ثم اتجه إلى المنزل.. وخلال دقائق دخل المرآب وأطفأ المحرك.

فتح الصندوق وأخرج حقيبته وحقيبة أوراقه: «دعينا ندخل.. هل هذا ممكن؟».

قادها إلى المكتب، ورمى حقيبته إلى الأرض، ثم وضع حقيبة الأوراق على المنضدة، وفتحها، ليخرج منها مغلفاً أسمر ضخماً.

- نسخة مصورة من هذه أرسلت إليّ بالبريد الاليكتروني اليوم.

أخذ ست طبعات ملونة وفتحها على الطاولة.

- انظري إليها بعناية.

لم يكن هناك مجال للخطأ في الصور الثلاث الأولى. كانت لها وللوك يتشاركان الغداء، لكن النسخ الثلاث الأخرى كانت مختلفة تماماً.

ميغيل وكاميل يجلسان معاً حول طاولة واحدة.. والأسوأ من هذا أنهما ينظران إلى بعضهما بتعبير لا يعرفه سوى العشاق.

أحست هانا بالسقم، وكل ما استطاعت فعله هو أن تسيطر على أنفاسها.. يا للسماء.. ميغيل وكاميل؟

حثها ميغيل بلطف: «انظري إليها بدقة كويريدا».

خاف أن يلمسها لئلا تتحطم.. وفرض على نفسه كتم غضبه، والسيطرة عليه بوعي.

- إنها ليست كما تبدو تماماً.

- تبدو حقيقية بما يكفي لي.

- وهذا هو القصد منها.

التقط إحدى النسخات، وأشار إلى كاميل: «إذا نظرت بدقة كبيرة، فسوف ترين أن هناك فارقاً بسيطاً في انعكاس الضوء».

التقط قلماً ودلّ برأسه إلى الصورة.

- هنا.. هل ترين؟

لم تكن الصور متطابقة تماماً.. ظل النور المنعكس على قسمات أحدهما مقارنة بالآخر، مختلف كلياً.

- الصورة الأصلية عدّلت بواسطة الكومبيوتر. في هذه الصورة بالذات، أزيلت صورتك ووضعت مكانها صورة كاميل المركبة، لقد طلبت فحصها.

والتقط ورقة وناولها إياها قائلاً.

- هذا التقرير يؤكد ذلك.

بقيت هانا صامتة وهي تتفحص النسخ المطبوعة مرة أخرى.. ثم قرأت التقرير المختص الذي يلاحظ الاختلاف التقني.

سألت ببطء: «ماذا ستكون خطوة كاميل التالية برأيك؟».

وحاولت صرف الألم الذي استقر حول قلبها: «كما أعتقد.. ستتأكد كاميل من استلامك المجموعة الثانية من الصور، في وقت ما غداً».

تكهنت هانا: «تسلمها شخصياً مع زخرفة كلامية.. هل ستسير بخطتها إلى أبعد من هذا.. أتعتقد؟».

رفع ميغيل حاجبه، متسائلاً:

- إلى الصحافة؟ قد تحاول.. على أي حال، هذه النسخ لن تستخدم أبداً.

لديه نفوذ، ونسخة من التقرير التقني أرسل إلى مصادر متعددة.

- أنا أدين لك باعتذار.

أخذ النسخات والتقرير منها، ووضعها في حقيبة أوراقه.

- لماذا؟ بالضبط؟

- لاتهامي لك بالمبالغة.. وأريد أن أشكرك لحرصك على أن أرى هذه.. قبل أن تحصل كاميل على تأثير الصدمة المتوقعة لها غداً.

كادت تموت ألف ميتة لمجرد التفكير بذلك.

رفع ميغيل يده ومرر أصابعه على خدها: «كاميل، على وشك أن تعرف أنني لن أتساهل مع أي شكل من الغزو».

نظرت إليه، لترى القوة والسلطة اللتين تشعان منه. وأحست بارتياح كبير لأنها ليست عدوته.

ـ أفهم هذا.

التوى فمه قليلاً: «حقاً؟».

ـ أجل.

كل هذا للحفاظ على الصورة العامة، مهنياً وشخصياً. وقالت لنفسها إنها تفهم هذا.. ألم تتربى على احترام الصورة؟ التعليم في المدرسة الخاصة، النشاطات الجامعية الإضافية، والتأنق الاجتماعي؟ كان لوك خطيئتها الوحيدة.. هذا إذا كان الوقوع في حبائل وغد يُعد خطيئة.

قال ميغيل بنعومة: «أشك في أن تكوني قد فهمت. التهجم الكلامي من الصعب إثباته من دون شاهد، وكذلك تشويه السمعة».

وقسي تعبير وجهه: «على أي حال، هذه النسخ المصورة والتقرير، يثبتان أن كاميل تنوي التشهير».

ـ وهل تنوي مواجهتها؟

ـ ليس شخصياً.. بل بالطريقة الوحيدة التي تفهمها.

ـ باللجوء إلى القضاء؟

ـ أجل.

كان هناك قسوة ظاهرة تنذر بالشر لكل من سيتجرأ على إغضابه.. وارتجفت هانا، وعلقت في مزيج معقد من المشاعر.

إنه يريد إنهاء المسألة. يريد أن تخرج كاميل وتصرفها المجنون من حياتهما.. أما لوك.. فمن الأفضل له ألا يلمحه مرة أخرى. وإذا ما رآه

فهذا سيوفر له الفرصة لضربه.. هذا ما قرره متجهماً.

تنفست هانا بعمق وزفرت: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

ـ لا شيء.. لا شيء إطلاقاً.. هل تفهمين؟.

ورمتها نظرته بسهام سوداء مخيفة: «من دون بطولات هانا.. رودني سبيرس سيكون قريباً منك طوال الوقت».

مد ميغيل يديه وأمسك كتفيها، ثم أنزل يديه على ظهرها وهو يدنيها منه.. رفع رأسه ليعانقها بنعومة، وسألها:

ـ اشتقت إلي؟

يا للسماء.. أجل. فهي لم تحب النوم وحيدة في فراشهما.. كانت تتقلب وهي نائمة، تبحث من دون وعي عن دفئه ولمسته وعناقه.. لكن الفراش كان خالياً وبارداً.

ردت: «آه.. هه».

كان عناقه يثير أحاسيسها.. وغلى الدم في عروقها، يبعث الحرارة في كل أطرافها.

شهقت هانا حين رفعها ميغيل عالياً حتى أصبحت عيناها في مستوى عينيه. حملها إلى البهو وراح يصعد السلم.

رأت المشاعر تحترق في أعماق عينيه السوداوين وأحست بإثارة الترقب وهو يصل الرواق ويتجه إلى غرفة نومهما.

حين أنزلها لتقف على قدميها، لفت ذراعيها حول عنقه وخفضت رأسه ليقترب من رأسها.

لم تكن بحاجة سوى إلى إحساسها به، وإحساسه بها.. الحاجة إلى التناغم للوصول إلى السعادة.

وهذا ما سعيا إليه من جديد في ساعات الفجر الأولى قبل أن يختطفهما النوم لوقت قصير.

متطلبات القيام باعباء اليوم الجديد أجبرتهما على النهوض

والإستحمام ثم ارتداء ملابسهما. تناولا الفطور ثم غادرا المنزل في سيارتين منفصلتين.. كل منهماً في طريقه إلى مكان عمله.

***

٨ ـ سارقة الجمال

كم من الوقت يلزم كاميل لتبدأ المواجهة؟

كما قدرّت هانا، لا بد أن يحصل هذا اليوم.. وبما أنّ المرأة الفرنسية قد تحملت مثل هذه المشقة لتكتشف خطط ميغيل، فلا شك أنها عرفت بعودته الليلة.

ترقبها للوقت والمكان جعلها متوترة. قد تختار كاميل الوقت الذي تكون فيه هانا بمفردها.. وهذا يعني الساعة التي ستأخذ فيها إيليان فرصة الغداء، أو بعد ذلك مباشرة حين تذهب هانا إلى المقهى.

معرفتها أن رودني سبيرس سيبقى يؤدي واجبه من دون تطفل وفر لها الطمأنينة.

نظرت هانا إلى ساعتها، وأشارت إلى إيليان أن تذهب للغداء.. في هذا الوقت رن جرس الهاتف ثلاث مرات، وجاءت ثلاث زبونات لأخذ طلباتهن السابقة، واختارت اثنتان استعراض السلع.. ولم تظهر كاميل.

تعاظم توترها مع كل دقيقة تمر وهي تطلب سلطة «القيصر» وعصير الجزر من منصة البيع في المقهى، ودفعت الثمن، ثم اختارت احدى الطاولات الثلاث الفارغة وجلست.

كانت السلطة لذيذة، وهي تعرف ذلك، لأنها تطلب هذا الطبق دائماً. على أي حال، كان بإمكانها اليوم أن تأكل طبشوراً، فشهيتها معدومة.

جلست هانا هناك لأكثر من نصف ساعة، حيث طلبت زجاجة ماء

شربتها في ربع الساعة التالية. . ولم ترَ أثراً لكاميل.

في الثانية إلا عشر دقائق، خرجت هانا إلى الشارع، وزارت منصة بيع صحف قريبة، حيث اختارت بطاقة لترسلها إلى سندي ثم عادت أدراجها إلى المحل.

غادرت إيليان العمل في الساعة الرابعة، وبعد ساعة من هذا تفحصت هانا الأقفال، وشغلت جهاز الإنذار، وأقفلت المحل، ثم سارت نحو موقف سيارتها.

اندست في البورش وأقفلت الباب. وضعت المفتاح في جهاز التشغيل، ثم شهقت وقد صعقتها الدهشة مع انفتاح الباب من الخارج.

مالت كاميل إلى الأمام ورمت مغلفاً كبيراً على حجرها: «فكرت أنه يجب أن تحصلي على هذه».

وتراجعت إلى الخلف وهي تهمّ بإقفال الباب: «على فكرة. . الرحلة إلى بيرث كانت رائعة حبيبتي».

من أين أنت؟ سألت هانا نفسها بصمت. ثم سمعت صوت محرك، فاستدارت لترى كاميل خلف مقود سيارة تتحرك بسرعة نحو المخرج.

بعد ثوان، ظهر رودني سبيرس من مكان خفي: «هل أنت بخير؟».

ـ أنا بخير.

ولم يبدُ مقتنعاً: «سأتصل بالسيد سانتاناس».

حاولت هانا أن تبتسم، وكادت أن تنجح.

وبسرعة طلب رودني رقماً هاتفياً: «المجرمة رمت مغلفاً. . دقيقة اتصال واحدة. . أجل زوجتك بخير. سألحق بها إلى المنزل».

وقطع الاتصال.

ـ هل أنت الآن بخير سيدتي؟

إنها بخير كما ستكون أبداً.

ـ بالتأكيد.

بعد ثوان خرجت من الموقف وانضمت إلى صف من السيارات الزاحفة على طول شارع «توراك».

بيرث؟ لماذا ذكرت كاميل بيرث؟

استلزم الأمر دقائق عدة للوصول إلى المفرق المؤدي إلى المنزل، وتحركت بسرعة مروراً بشوارع سكنية عديدة قبل الدخول إلى منزلها.

كانت سيارة ميغيل «الجاغوار» متوقفة أمام الباب الأمامي، وأوقفت البورش خلفها.

ما إن دخلت البهو حتى وجدته هناك، طويلاً متأملاً، عيناه قاتمتان وهو يتفرس جسمها الصغير.

وتحوّلت نظرته إلى المغلف الكبير في يدها، فأخذه منها، ثم أمسك ذقنها وعانقها بقوة.

أمسك يدها وقادها معه: «دعينا نأخذ هذا إلى المكتب. . أعتقد أن كلينا بحاجة إلى القهوة».

دخلت هانا بصمت إلى الغرفة الكبيرة المليئة بصفوف الكتب، وراقبته يأخذ إبريق القهوة الكهربائي ويملأ فنجانين بالسائل البني الذهبي.

تناولت فنجاناً، وارتشفت منه رشفة طويلة وهي تسند وركها إلى المنضدة.

أشارت إلى المغلف: «ألن تفتح هذا؟».

ـ بعد قليل. . أولاً هناك أمر يجب أن تعرفيه.

نظرت إليه ملياً، ثم قالت ببطء: «لا أعتقد أنني أرغب في سماع هذا».

ـ يبدو أن كاميل اكتشفت أنني سأكون في بيرث فلم تأخذ طائرة مبكرة إلى هناك وحسب. . بل حجزت غرفة في الفندق ذاته.

لاحظ النظرة المصدومة السريعة قبل أن تسيطر عليها بنجاح. . وأحس برغبته في قتل كاميل للدمار الذي بدت مستعدة للتسبب فيه.

قالت هانا بمرارة: «لا تقل لي.. فهذا المغلف لا يحتوي فقط على الصور المعدلة التي شاهدناها، بل على لقطات أخذت في الفندق مع الوقت والتاريخ الظاهرين».

وتشابكت نظراتهما بحدة: «وماذا غير ذلك؟ وأنت تغادر غرفتك كانت كاميل واقفة في الممر وخلفها يظهر رقم الغرفة، فهل يجب أن أتفحص هذا؟».

- بل أسوأ.. كاميل مستلقية شبه عارية في فراش مشعث.. ولأنه ليس فراشي الأمر لا يهم.. فمعظم الغرف متشابهة.

وقفت تضع فنجان القهوة بحذر على المنضدة، فيما همس لها صوت صغير داخلي: اهدأي.. ابقي هادئة.. انظري إلى الصور، تفحصيها بدقة، ولا تقولي شيئاً قبل أن تنتهي.

ببطء متعمد، فتحت المغلف وأخرجت الصور، ثم وضعتها على المائدة كل على حدة إلى أن وصلت إلى الست الأخيرة منها.

وكما توقعت، كان هناك لقطات مأخوذة للفندق من الخارج، ومنظر لقسم الاستقبال، مع صورة واضحة لكاميل وهي تأخذ مفتاح غرفتها، وللردهة تُظهر رقماً على باب. وميغيل يخرج من الغرفة ذاتها، والصورتان الأخيرتان تظهران كاميل نفسها في وضعيات مختلفة بين أغطية مجعدة، وهي تبدو مكتفية حالمة، ومغرية بشكل لا يصدق.

أول رغبة تملكت هانا هي أن تمزق الصور وترميها في سلة المهملات.. وأحست بالدوار وهي تنظر إليها. شعرت أنها مريضة فعلاً لتخيّلها ميغيل وهو يُسعد امرأة أخرى، حتى ولو لم يحدث هذا، فالفكرة وحدها كافية لقتلها.

- انظري إلى التاريخ.

اخترق صوت ميغيل الفراغ الأسود الذي لفّ أفكارها، فهزّت رأسها. لكن الصوت الأجش بدا كالحرير المطعّم بالفولاذ الحاد وهو يقول:

- بربك.. انظري.

إنه تاريخ اليوم.. اليوم؟ لكن..

أكمل ميغيل بعناد: «كنت هنا ليلة أمس.. معك».

وهذا برهان لا يدحض.. وقالت هانا مبتسمة: «هكذا أفضل.. وإلا لقتلتك أو أسوأ».

بدا متسلياً بشكل غامض: «إذن، من حسن حظي أن معي شاهد على مكان وجودي مساء الاثنين».

- أرجو أن يكون موثوقاً به.

- إنه كذلك، ولسوف يؤكده لك اليخاندرو.

وأصبح صوته قاسياً، وتعبير وجهه لا يلين حين أضاف: «سأرسل إلى كاميل إنذاراً مؤقتاً.. فإذا تجاهلته سأقاضيها بتهمة الإزعاج المتكرر».

صمت قليلاً ثم تابع يقول: «ثم هناك إثبات علمي بالنسبة لتعديل الصور».

ونظر إليها بحدة: «لو تصرفت بحكمة، فستستقل أول طائرة وترحل من هنا».

وستعود حياتهما إلى طبيعتها.. حتى المرة القادمة.. ومع أن نساء كثيرات يرغبن بميغيل إلا أن أيّ واحدة منهن لم تتصرف بهذا الشكل غير العادي كما فعلت كاميل.. هل هذه المرأة مهووسة؟ سارقة رجال متمرسة تأخذ كفايتها من التسلية بالناس ولعب لعبة شريرة؟

وجعل هذا هانا تشعر أنها تحب التملّك بقوة.. متملكة في ما يتعلق بميغيل، وزواجها، وبيتها.. وأي شيء تقدسه.

لكن بضعة أسئلة حيّرتها وارتجفت للأفكار الغريبة التي راودتها، وأحست بالقهر لفكرة أن خطة كاميل كادت تنجح.

لا تخوضي في هذا.. حذرت نفسها بصمت. فالشراكة، والزواج،

يجب أن يبنيا على الثقة. وإذا لم يكن هناك ثقة، فلا أساس للزواج.

أخذت فنجان قهوتها مجدداً وارتشفت منه، والتف السائل الدافىء حول معدتها وسرى في دمها، ليخفف توترها بالتدريج.

منذ بضعة أسابيع لم تكن تعرف بوجود كاميل دالفور، ومع ذلك، وفي الأسبوع المنصرم تمكنت المرأة الفرنسية من زرع الفوضى في حياتها.

يمكن لميغيل أن يتخذ الإجراء الذي يريده، لكنها تنوي التخطيط لاستراتيجية خاصة بها.

بحركة متهورة، ابتلعت ما تبقى من قهوتها، ثم أعادت الفنجان إلى المنضدة، وقالت: «أشعر برغبة في السباحة قبل العشاء».

وتركها ميغيل تذهب، وحين أغلقت الباب خلفها، أعاد الصور إلى المغلف ووضعها في الخزنة. بعدئذ التقط الهاتف وطلب رقم محاميه..

خلعت هانا ثيابها وارتدت ثوب سباحة مذهل بلون بحري قاتم، مكون من قطعة واحدة، ثم رفعت شعرها، وتناولت منشفة ونزلت السلم بخفة.

بدت البركة مغرية، والمياه صافية لماعة تحت أشعة شمس المساء الغاربة، وكانت حرارة النهار قد تلاشت تقريباً. وغطست بنعومة في الجانب العميق من البركة، وحين برزت إلى السطح ضربت الماء بيديها ضربات متكاسلة، ضربة إثر اخرى، إلى أن عدت إلى الخمسين، ثم انقلبت على ظهرها وبقيت عائمة بسعادة فوق المياه الصافية.

كانت تشعر بالشمس على وجهها وأطرافها، وأغمضت عينيها، لتضيع في تفكير متأمل.

سرعان ما ستضطر للخروج من الماء، والصعود إلى غرفتها، لتستحم وتغير ثيابها استعداداً للعشاء.. لكنها الآن، ستستمتع بالهدوء والعزلة.

بعد خمس دقائق، انقلبت على بطنها بحركة سريعة، واتجهت إلى

حافة البركة.

الاستراتيجية التي فكرت فيها، تجسدت لديها وهي تستحم، جففت شعرها وارتدت تنورة مقلمة وقميصاً.. ووضعت أقل قدر ممكن من الزينة، ولمسة أحمر شفاه، وأصبحت جاهزة.

كان موعد العشاء في الساعة السادسة والنصف، فألقت نظرة سريعة على ساعتها لتكتشف أن لديها خمس دقائق فقط لتضع خطتها قيد التنفيذ.

وبدلاً من استخدام خط المنزل الهاتفي، أخرجت هاتفها الخلوي، وضغطت أرقاماً عدة.

ـ غرازيلا؟

وتبادلت معها التحيات، ثم دخلت صلب الموضوع: «هل أستطيع أن أكلم كاميل، إذا كانت موجودة؟».

وإن دهشت كاميل لهوية المتكلم، إلا أنها لم تظهر دهشتها: «هانا.. كم هذا فاتن عزيزتي».

وكانت لهجتها مزيفة تماماً.

ـ دعينا نتناول الغداء معاً يوم غد.

وسمتّ مطعماً في المدينة يقع على مسافة قريبة من المحل، ثم أضافت: «في الساعة الواحدة، كوني هناك».

وقطعت المكالمة، قبل أن تتاح الفرصة لكاميل أن تقول كلمة أخرى.

كان العشاء مكوناً من وجبة بسيطة من الدجاج المقدم مع الأرز والسلطة اللذيذة وفاكهة طازجة، وشربت هانا الليمونادة، وأعجبتها شهية ميغيل بينما راحت هي تتلاعب بالطعام في صحنها.

ـ ألستِ جائعة؟

التقت نظرة ميغيل الثابتة وهزت كتفيها قبل أن تجيب: «احضرت لي زبونة طبقاً كبيراً من العنب الطازج والبسكويت والجبن.. وأكلنا، أنا وإيليان طوال بعد الظهر».

- هل نسيت أن لدينا تذكرتين لحفل افتتاح مسرحية (دايفد ويليامسون) الجديدة الليلة القادمة؟

لقد كانت مشغولة الفكر بكاميل.. ولم تراجع مفكرتها الاجتماعية منذ أيام.

- لا.. بالطبع لم أنس.

قال ميغيل بينما دفعت هانا بطبقها جانباً: «لدي بعض العمل في المكتب لمدة ساعة تقريباً».

- وأنا أيضاً.

فواتير آخر الشهر، إيصالات بضاعة، كما تحتاج إلى تفحص كتيبات الموضة من عدة بيوتات أزياء، وأكملت: «يجب أن أبدأ بها».

قال وهو يقف: «ضعي الصحون في غسالة الصحون.. وسأحضّر القهوة».

أراد جزء منها الإحساس بلمسته، ودفء ذراعيه وهما يلتفان حولها.. هل لطمأنتها؟ لن يفيدها أن تشعر بمثل هذه الحاجة. مع ذلك، فهما متزوجان، ويربطهما عهد.. وما هو الشيء الطبيعي أكثر من التقدم إليه، ولف ذراعيها حول عنقه وجذب رأسه إلى رأسها؟

لن تستطيع هذا. ليس هنا، وليس الآن. كانت كاميل تقف بينهما مثل الشبح، وجود حي يتنفس، يبدو وكأنه يستنفد دفئها الطبيعي ومرحها العفوي.

حين انتهت من تحضير القهوة، صبتها في فنجانين وحملت فنجانها إلى الغرفة المريحة المحاذية لمكتب ميغيل. لم تكن الغرفة كبيرة مثل غرفته، لكنها أثثت بمنضدة أثرية، ورفوف كتب، وخزانة ملفات، ومنضدة كتابة.

ولساعتين متتاليتين عملت بجهد، وبعد أن أنهت عملها، أرسلت بضع رسائل اليكترونية لأصدقائها.

- ألم تنتهي بعد؟

رفعت هانا رأسها لترى جسم ميغيل الطويل المستند إلى إطار الباب. كان قد فتح أزرار كمي قميصه، ورفعهما إلى أعلى مرفقيه. الأزرار القليلة في أعلى القميص كانت مفتوحة، وبدا وكأنه مرر أصابعه في شعره أكثر من مرة.

- خمس دقائق فقط.

- هل ترغبين في مشاهدة فيلم تلفزيوني؟

- ولمَ لا؟

- هزلي؟ أم حركة؟ أم دراما؟

حركت أنفها وابتسمت له: «فاجئني».

حين دخلت غرفة التسلية، وجدته ممدداً على أريكة جلدية. وكان أمامه رزمة بسكويت هش غير مفتوحة، فيما الأنوار معتمة، وشاشة التلفزيون تعرض بعض الأخبار السريعة قبل الفيلم.

أفسح لها مكاناً إلى جانبه، ومد لها يده يدعوها إليه. كانت عيناه قاتمتين، وفمه يلتوي بابتسامة شهية: «تعالي هنا».

تمتمت وهي تقطع الغرفة: «يبدو لي أن هذه دعوة».

- وهل أنت بحاجة لدعوة؟

أشارت إلى سطل الثلج والعصير: «هل نحتفل بشيء؟».

أمسك يدها وجذبها إليه، قائلاً:

- السلام.

أخذ رشفة من العصير، وراقبها وهي تفعل مثله.. ثم أخذ الكأس من يدها وأعطاها كأسه.

كانت هذه إيماءة مثيرة متعمدة.. وبقيت تحدّق فيه لبضع ثوان، وهي تعي جيداً التجاذب الكيميائي بينهما.

وانطلقت النار المستعرة في شرايينها.. لتوقظ أعصابها كلها.

بجهد كبير، أبعدت نظرها عنه، ونظرت من دون أن ترى إلى التلفزيون، محاولة أن تركز على الصور الملونة مع بدء عرض الفيلم.

شربت ما في كأسها ببطء وهي تشعر بتغيير في جسم ميغيل بعد أن وضع ذراعه على ظهر الأريكة، على مقربة من كتفيها.

كان الفيلم يدور حول علاقة غرامية، والتمثيل رائعاً، وقد نال جائزة أوسكار لدوريهما إن لم تخنها ذاكرتها.

بالتدريج ارتفعت حرارة هانا وهو يقترب منها، ثم يعانقها بخفة.

سألته بصوت أجش: «هل تريد حقاً مشاهدة هذا الفيلم؟».

وسمعت ضحكته المنخفضة قبل أن يجيب:

ـ شاهديه أنت كويريدا.. لدي شيء آخر أفكر به.

ـ هنا؟

امتدت يده إلى خصرها ثم ارتفعت ببطء.

ـ سنصل إلى غرفة النوم في النهاية.. أما الآن فاسترخي.

لم تعد تشعر بالخجل، بل.. بحاجتها إليه.. وشهقت وهو يقف ليحملها متجهاً بها نحو السلم.

فيما بعد، وبعد وقت طويل، غلبها النوم وهي بين ذراعيه.

***

٩ ـ غضب ودموع

بدأ اليوم بالمطر، ثم ضعف ليتحوّل رذاذاً خفيفاً، ومع منتصف النهار كانت المدينة قد استحمت بحرارة بخارية ورطوبة مرتفعة.

ارتدت هانا ملابس فاتنة، بذلة سوداء، مفصلة يدوياً، صارخة الأناقة. وكانت ياقة السترة المزررة تُظهر شيئاً من بشرتها. واختارت حذاء مرتفعاً مستدق الكعبين أضفى على جسمها الصغير طولاً، وجوارب سوداء شفافة غلّفت ساقيها النحيلتين.. وسرّحت شعرها في شينيون لماع، وارتدت أقل ما يمكن من الجواهر.

مظهرها العام كان مظهر امرأة واثقة من نفسها تحترم ذاتها.. وبالكاد اهتمت بشعورها من الداخل وهي تدخل المطعم المعيّن، متأخرة عمداً بضع دقائق.

وبدا لها أن كاميل تنوي لعب اللعبة ذاتها، فهي لم تكن موجودة، وسمحت هانا لكبير السقاة أن يرافقها إلى الطاولة المحجوزة، حيث طلبت مرطباً، وأخذت ترتشفه ببطء مع مرور الدقائق.

زاد الانتظار من توتر أعصابها. وبعد عشر دقائق، استدعت الساقي وسجلت طلبها.. فإذا قرّرت كاميل ألاّ تظهر..

ـ هانا.. أعتذر لك.

كان الصوت مزيفاً مثل ابتسامة كاميل وهي تندس في المقعد المقابل.

ـ لقد تأخرت وأنا أرد على مكالمة هاتفية.

ورفعت يدها في إيماءة مغرية، قبل أن تضيف:

- وتعرفين مشكلة ركن السيارة.

همست هانا لنفسها: «ابدأي كما كنت تنوين».

- لقد طلبت الطعام.. فليس لدي سوى ساعة فراغ.

جاء الساقي وطلبت كاميل عصيراً.

- فكرت بأن نحتفل حبيبتي.

- وما هي المناسبة؟

- الحياة.

ولم تصل ابتسامة كاميل إلى عينيها وهي تكمل: «أوليس هذا سبباً كافياً؟».

واجهتها بحزم: «لا.. لا سيّما وأنت مصممة على التدخل في حياتي».

قدم الساقي لائحة الطعام، فنظرت كاميل إليها بسرعة، وطلبت سلطة، ثم نظرت إلى هانا نظرة قاسية محسوبة.

- ألم تتعلمي بعد أنني خصم مخيف؟

- وخصم غبي جداً.

تأملتها نظرة كاميل قبل أن تسألها: «ما رأيك بالصور حبيبتي؟».

- أيّ منها؟ المعدلة على الكومبيوتر؟ أم تلك التي تظهرك ممددة بين أغطية السرير في ثوب مبتذل؟

الاحتراس الظاهر ازداد ليتحول إلى ما يقارب الخطر.

- كيف يمكن أن أكون في حال غير هذا وميغيل ترك فراشي لتوه؟

صححت هانا لها بهدوء مخادع: «أنت مخطئة كاميل.. ميغيل لم يكن في فراشك أبداً».

لم يتغير تعبير وجه كاميل: «وهل فشلت في مواجهة الحقيقة، يا حبيبتي؟».

تناولت هانا قطعة هليون بشوكتها، وغمست طرفها في المرق، ومضغتها بهدوء وتلذذ.. ثم قالت بعد ثوان: «أنت من يحتاج إلى فحص الحقائق».

- الصور واضحة.

نظرت هانا إلى الفرنسية وكادت تشعر بالأسف عليها: «إنه خيال كاميل».

اشتد ضغط كاميل على شفتيها: «إنه دليل لا يقبل الجدال.. التاريخ المسجّل لا يكذب».

وافقت هانا: «لا.. لكنك إرتكبتِ غلطة صغيرة».

- وما هي؟

تأخرت هانا في الرد: «لقد عاد ميغيل إلى البيت مساء الثلاثاء».

- مستحيل، كان جناحه لا يزال مشغولاً.

أكدت لها: «كان يشغله اليخاندرو.. لقد كنت ذكية جداً في تشغيل جهاز التأريخ في الكاميرا.. وهذا ما جعل من وجود ميغيل في فراشك مستحيلاً، في وقت كان فيه معي».

سألت كاميل بكراهية: «وماذا عن ليلة الاثنين هانا؟».

وقاومت هانا الرغبة في صفع وجه المرأة.

- كاميل.. استسلمي. لقد لعبت ما ظننت أنه ورقتك الرابحة، وثبت أن هذه الورقة ليست أكثر من جوكر.

والتفت أصابع يد مطلية الأظافر بالأحمر حول منديل المائدة: «هل دعوتني على الغداء لتقولي لي هذا؟».

- لا.. بل أردت فرصة لأحذرك شخصياً من أنني لن أتحمل محاولاتك التدخل في حياتي، أو في زواجي.

ضغطت كاميل يدها فوق قلبها، بسخرية: «كم أنا خائفة».

كانت درجة السخرية الدرامية مضحكة تقريباً، لو تمكّنت هانا من

رؤية شيء من المرح في الموقف.

وأكملت تحذيرها من دون ليونة: «خافي.. يمكنني اتهامك بالإزعاج والتحرّش».

وكانت نظرتها مباشرة، ولهجتها مثلجة، وانتظرت لحظة، ثم أضافت: «أشك في أن خالتك قد تتأثر. ولا أتصور هذا لغرازيلا وانريكو دلسانتوس».

لمعت عينا كاميل بحقد أسود: «لم أنته منك بعد.. ميغيل..».

قاطعتها هانا بنعومة: «يجدك مزعجة بقدر ما أجدك أنا.. اذهبي وعيشي كاميل.. اخرجي من حياتي».

انطلق فيض كلام حاقد من فم كاميل المخطط بدقة، في سباب عنيف ولغة مبتذلة مثيرة للشفقة، جعلت من يفهم الفرنسية، يسمع سيلاً من التهجم على أصل هانا وسليلتها ومركزها وشخصيتها.

حدث شيئان متزامنان، كانا أخطر إنذار موجه لهانا.

امتدت يد كاميل خلسة وصفعت وجه هانا صفعة لاذعة، وانسكب العصير على مفرش الطاولة. فظهر رودني سبيرس من مكان مجهول وأمسك ذراع المرأة الفرنسية في قبضة رادعة.

وما حصل لاحقاً كان مضحكاً.. فقد أسرع الساقي إلى الطاولة ولحق به كبير السقاة. بدا بعض الرواد مذهولين تماماً فيما أخذ الفضول البعض الآخر، وفي هذه الأثناء تابعت كاميل لعن كل شخص من أقارب هانا.. الأحياء منهم والأموات.

واحتوى المشهد على مقتطفات غير مترابطة، مثل مشهد من فيلم سينمائي.

سأل كبير السقاة باهتمام: «هل ترغبين في استدعاء الشرطة سيدتي؟».

كان يعرف تماماً هوية هانا وعلاقتها بعائلتين من أكبر أثرياء المدينة.

تجاهلت هانا إيماءة رودني سبيرس بالموافقة وردّت: «لا».

كرر بلهفة: «هل أنت واثقة سيدتي؟ ألم تصابي بأذى».

الجانب الأيسر من وجهها كان يلذعها.. راحت ترتجف ببعض الانفعال. لكن، هذا كل شيء.

ـ أنا بخير.

ـ لن نأخذ ثمن وجبة الطعام طبعاً.. هل آتيك بشراب؟

أكد رودني بلهجة لا تتحمل الجدال: «سأعتني بالسيدة سانتاناس.. حالما أرافق هذه المرأة إلى الخارج».

نظر إلى هانا نظرة مباشرة، وسألها:

ـ هل أنت واثقة تماماً من أنك لا تريدين سجنها؟

استدارت نحو كاميل، التي بدت كقطة متوحشة تنتظر فرصة أخرى للانقضاض.

وقالت محذرة بوقار هادىء: «اقتربي مني مسافة عشرة أمتار مرة أخرى، وسوف أصفعك بكل تهمة ترد في القانون».

وكان هدؤها صعباً، وهي تشعر من الداخل أنها محطمة الأعصاب.

أخرج رودني المرأة الفرنسية بالقوة من المطعم، ونظرت هانا إلى المائدة، والعصير المسكوب والطعام المبعثر، وقالت ببساطة: «أعتذر».

أخذت حقيبة يدها وسحبت بطاقة الاعتماد.

لوح كبير السقاة برفض البطاقة: «لا.. لا سيدتي.. لا داعي لأن تغادري، دعيني أحضر لك وجبة طعام أخرى».

ـ شكراً لك.. يجب أن أعود إلى العمل.

عليها أن تخرج من هنا لتتنشق هواءً نظيفاً: «يجب أن تنتظري عودة التحري».

الحارس الشخصي! اللعنة! هذا يعني أن رودني سيقدم تقريراً لميغيل، ثم، ... وكثرت، سيكون عليها دفع ثمن تصرفها.

لم يطل الأمر.. عشر دقائق فقط، عدّتها هانا وهي تتفحص ساعتها مع رنين هاتفها الخلوي.

سأل ميغيل لحظة ردّت على المكالمة: «ما الذي فعلته بحق الجحيم؟».

ردت من دون تردد: «أحمي منطقتي».

وسمعت شتائمه المنخفضة.

- لا تحاولي أن تكوني ظريفة.

- لكن «الخيالة» وصلت في الوقت المناسب.

قال بصوت أجش: «هانا.. أنا لست مستعداً للضحك».

- وأنا لم أكن أضحك.

- أقفلي المحل واذهبي إلى البيت.

- لماذا؟ أنا بخير.

- هانا..

- إذا كان لا بد من إجراء تفحص لما بعد الحادثة، يمكنك الانتظار حتى الليل.

الصمت المطبق كان بليغاً.. واستطاعت أن تسمعه وهو يستجمع سيطرته على نفسه، ويقول بقسوة: «الليلة.. وفي هذا الوقت.. سيبقى رودني قريباً منك.. أفهمتِ؟».

كانت التعليمات الموجهة إلى رودني دقيقة.. فقد فهم أن حراستها تعني الانتباه إلى ما يجري داخل المحل ومراقبة أية زبونة تدخل المحل وتقلب البضاعة.

ذهلت اليانور بما جرى وأقلقتها اللطخة الحمراء على خد هانا، فوضعت عليها كيساً من ثلج، وأصرت على البقاء معها حتى وقت الإقفال.

لم يكن هناك أي أثر أو خبر عن كاميل، وعانت هانا من مرافقة رودني

لها حتى موقف سيارتها، ثم لحاقه بها عن قرب إلى درجة أن سيارته كادت تلامس سيارتها.

هناك كدمة بسيطة بدأت بالظهور على وجنتها، وعندما تفحصها ميغيل جعل من الصعب عليها ألا تجفل ألماً.

قال ميغيل آمراً: «كلميني.. هل تتألمين عند تحريك فمك؟».

هزت كتفها قليلاً وردت: «ليس كثيراً».

ورأت نظرته تضيق.

أمسك ذراعها، وقادها إلى المكتب، وأقفل الباب، ثم استدار ليواجهها: «والآن.. هل ستقولين لي كيف حدث وتناولت الغداء مع كاميل؟».

أوه.. يا للسماء.. الاستجواب. والحقيقة البسيطة هي الطريق الوحيد.

- لقد اتصلت بها ودعوتها.

تحولت قسمات وجهه إلى تفحص مكتئب. ومن دون أيّ كلمة، تقدم إلى منضدته وأسند وركه على حافتها.

- ماذا دهاك بحق السماء لتفعلي هذا؟

كان السؤال ناعماً كالحرير، وخطيراً، فنظرت إليه بتحد ساخر.

- لقد تعبت من لعب دور الضحية.. وكاميل هي التي تدير كل الحركة. لذا قررت أن الوقت قد حان لأن أقول لها كفى.

نظر إليها نظرة مباشرة محللة: «حتى مع معرفتك أنني رفعت قضية ضدها، والمسألة أصبحت تحت السيطرة؟».

تابع بدرجة كبيرة من السخرية: «ادركت أن المرأة لا يمكن التنبؤ بما يمكن أن تفعل، لذا فهي خطرة».

قالت هانا مدافعة: «لم أكن بمفردي معها.. والشكر لك، كان رودني الثمين جداً، في مكان قريب».

نظر إليها بحدة: «هل خطر ببالك ما كان يمكن أن يحدث لو لم يكن موجوداً؟».

وقفت منتصبة، وحدقت فيه: «إذا انتهيت من استجوابك، فسأذهب لأستحم وأغير ملابسي».

وقف ميغيل، ووصل إليها قبل أن تخطو أكثر من خطوة.. وأطبقت يداه على كتفيها، ثم أمسك ذقنها ورفع رأسها: «أعطني وعداً بألاّ يكون هناك المزيد من المحاولات البطولية المستقلة».

كان قريباً، وقريباً جداً.. فخفق نبض عند أسفل عنقها، ووقفت مسمرة، تنظر إليه وهو يتفحص قسمات وجهها بنظرة مرعبة.

بدا لها أن أنفاسها علقت في حلقها. وتعلقت عيناها بعينيه، مشتعلتان، غاضبتان، مع ذلك ضعيفتان جداً.

ـ سأفكر بالأمر.

شكّل سبابه الأجش الحافز لها: «هل انتهيت».

وحاولت انتزاع نفسها من يده، وفشلت: «دعني أذهب.. اللعنة عليك!».

اكتست عيناه مظهر البرود الذي لا يرحم: «سيكون العشاء جاهزاً بعد نصف ساعة».

ومرر إبهامه على شفتها السفلى، وأحس بها ترتجف، فأراد أن يهزها.

ـ يجب أن نكون في المسرح في الساعة السابعة والنصف.

أوه.. يا إلهي.. وكادت تتأوه بصوت مرتفع، المسرحية. المنتج صديق شخصي.. وعدم الحضور سيكون قمّة في قلة التهذيب.

ـ لست جائعة.

كان التوتر العاطفي والعصبي جحيماً ولعنة مميتة.. والسماء تعرف أنها عانت من العذاب في الأسبوع الفائت ما يكفيها العمر كله.

ـ إذا لم تكوني في غرفة الطعام بعد نصف ساعة، فسأصعد لآخذك.

اتسعت عيناها، ومال لونهما إلى الأزرق القاتم، وقالت محذرة: «لا تلعب دور الزوج المتسلط».

ورأت عيناه تقتمان.

ـ هانا.

كان في صوته تحذير مبطن قررت ألا تهتم به، وردت بغضب: «لا تقل شيئاً.. لا تقل شيئاً».

تركها ميغيل تخرج من الغرفة من دون أن يتفوه بكلمة أخرى.

أخذت حماماً متكاسلاً جعلها تستعيد الكثير من توازنها. وارتدت بنطلون جينز أنيقاً وبلوزة، وجففت شعرها، ثم نزلت إلى الطابق الأرضي.

كانت صوفيا قد حضرت يخنة لحم بقر طري مع خبز محمص، وسلطة. الرائحة الزكية، فتحت شهية هانا، فأكلت باستمتاع وتلذذ.

فكرت بعدة مواضيع للحديث، ثم تخلت عنها.

قال: «أليس لديك ما تقولينه؟».

نظرت إليه، فالتقت نظراتهما. ثم أخذت بعضاً من الأرز في شوكتها: «وماذا تقترح؟ مواجهتي مع كاميل حكم عليها بالموت».

ـ لقد اتصلت رينيه، وأكدت لي أن لا شيء مهم. وأشارت إلى أنها ستتحدث معك الليلة.

نظرت إليه بحدة: «وهل أخبرتها بما حدث اليوم؟».

ـ لا.. ولماذا أقلقها بلا فائدة؟

سوف تصاب أمها بالذعر لو اكتشفت إلى أي مدى ذهبت كاميل في حملتها.. والمضاعفات التي تسببت بها.

كانت ليلة الافتتاح في المسرح تعني أن ترتدي ثياباً أنيقة. واختارت هانا بذلة مؤلفة من تنورة مرتفعة الخصر باللون الزهري وبلوزة من دون

أكمام بلون زهري داكن.. وأكملت هندامها بشال حريري ناعم. وكعادتها اختارت أقل ما يمكن من الحلي، ثم عقصت شعرها في عقدة جميلة في أعلى رأسها.

كان أفراد من نخبة مجتمع المدينة حاضرين.. ولم تفاجئها رؤية غرازيلا وانريكو ديلسانتوس بين المدعوين في المسرح، وبرفقتهما أصدقائهما آيمي دلفور، وكاميل، ولوك.

بطريقة ما، تعبير (القطة بين الحمائم) لم يكن كافياً لتصوير الموقف. لكن الدعوى التي تقدم بها ميغيل لمنع الإزعاج المتواصل لن تصبح سارية المفعول قبل اليوم التالي.. بما أن كاميل لم تكن غبية، فإن ظهورها الليلة هنا ليس سوى تعجرف وقح.

كانت المرأة الفرنسية ترتدي ثياباً ضيقاً بقصد الفتنة. وبدت جميلة بشكل آثم في ثوب مبتكر من دون أربطة أو ظهر، يلتصق بجسمها وكأنه بشرة ثانية.

هل هذه محاولة بائسة أخيرة لتظهر لميغيل ماذا يخسر؟

طبعاً، من المستحيل أن يتسللا عبر الردهة من دون أن يلاحظهما أحد، ولا يمكن لهما أن يتجاهلا وجود ديلسانتوس.

تصرفي.. حثت هانا نفسها بصمت بينما كان ميغيل يضم يدها بيده.

حيتهما غرازيلا بحماسة: «هانا، ميغيل.. كم من الرائع رؤيتكما. هل تذكران آيمي، وبالطبع كاميل ولوك».

وكيف لهما أن ينسيا؟ تبادلا تحيات مجاملة لا معنى لها، وتعمدت هانا تجاهل تقييم كاميل المغري لميغيل. والمثير للعجب أنه لم يحترق لرؤية تكور شفتيها الشهيتين، والوعد الخبيث الواضح في عمق عينيها الغاويتين.

إن جلسوا قرب بعضهم فسوف تصرخ.. لكنها ارتاحت على الفور لرؤية والديها يتجهان نحوهم.

تمتمت رينيه بعد دقائق من ابتعاد ديلسانتوس وجماعتهما بعيداً: «أوه.. يا للسماء.. هل هناك كلمة مناسبة لوصف مثل هذا الانحراف الفاضح؟».

قالت هانا مع رنة تسلية ساخرة: «ليس هناك من كلمة يمكن التلفظ بها في رفقة مهذبة».

خلال دقيقة، فتحت أبواب المسرح، وبدأ المدعوون بالدخول لأخذ أماكنهم المحجوزة. حاولت هانا إبعاد يدها عن قبضة ميغيل الصارمة، لكنها فشلت.. هل يقوم باثبات أمر واقع أم يسعى إلى طمأنتها؟ أو ربما الاثنين معاً؟

اللعنة! إنها مصابة بجنون العظمة!

حين جلسا شعرت بالامتنان لأنها لم تلمح الزوجين ديلسانتوس وجماعتهما في مكان قريب.. وبدأت بالإسترخاء.

كان الاداء في المسرحية ممتازاً.. المناظر والشخصيات رائعة.. وابتهجت هانا وانسجمت مع النص الرائع، الأداء، والإخراج.

فترة الاستراحة وفّرت فرصة للحضور لكي يخرجوا إلى البهو، ويشربوا القهوة أو المرطبات أو يختاروا البقاء في مقاعدهم.

قالت رينيه: «دعونا نخرج لشرب القهوة.. يمكن لميغيل وكارلو أن يختارا ما يشاءان».

ورمقت هانا بابتسامة متآمرة ثم أضافت: «.. بينما نتفحص نحن أزياء النسوة الأخريات».

ولمَ لا؟ وقفت هانا، وأحست باللمسة الخفيفة ليد ميغيل على مؤخرة خصرها وهي تتحرك نحو الممر بين المقاعد.

قربه منها حرك مشاعرها، وأحست بالتوتر العصبي من جديد وهما تدخلان البهو.

كان هناك أناس تعرفهم.. بضع زبونات مع أزواجهن، أو أصدقاء،

وتوقفت لوقت قصير لتبادل التحيات معهم وهما تتقدمان إلى منصة البيع.

- رينيه.. كارلو.. أرجو أن تنضما إلينا.

أغمضت هانا عينيها، ثم فتحتهما مرة أخرى حين أشار انريكو ديلسانتوس إلى أربعة مقاعد فارغة حول الطاولة التي اختاروها.. هذه ليست أمسية هانا! كم سيدوم وقت الاستراحة؟ عشر دقائق أم خمس عشرة دقيقة؟ أيمكنها أن تعيش هذه الفترة برفقة كاميل ولوك؟.. بالتأكيد.

تعمد ميغيل إجلاس هانا إلى جانب رينيه فيما جلس هو في المقعد المجاور.. كان فاتناً مع غرازيلا، وتبادل الحديث مع كارلو وانريكو، وتصرّف بتهذيب في كل مرة حاولت فيها كاميل لفت انتباهه.

لاحظت هانا أن هذا يحدث باستمرار مع وجود كاميل. فاق هذا كله احتمالها، وفي محاولتها التخلص من الوضع اعتذرت واتجهت إلى غرفة الزينة.

لكنها أدركت بعد دقائق أنها ارتكبت غلطة كبيرة، فقد انضمت إليها كاميل بسرعة، وكان عليها الانتظار نظراً لعدد الغرف الصغيرة.. وقفت هانا متصلبة تنتظر من كاميل أن تبدأ الضرب ولم يخب أملها.

- لا تتصوري نفسك قادرة على الاختباء وراء حارس شخصي.. أعتقد أنك تظنين نفسك ذكية.

استدارت هانا قليلاً لتنظر إلى المرأة الفرنسية، وردت بجفاء: «أبداً.. الحارس الشخصي موجود بناء لطلب ميغيل».

تحول وجه كاميل إلى قناع ثلجي، قبل أن تقول:

- ليحمي مصالحه واستثماراته.

- طبعاً.

كانت هذه هي الحقيقة، فلماذا الإنكار؟

تابعت هانا بهدوء: «لكن هناك مكافأة لهذا.. عليّ أن أشاركه فراشه، وحياته، وأحمل أولاده».

وأطلقت نفساً عميقاً قبل أن تضيف: «اعترفي أنك فشلت كاميل، واذهبي للتفتيش عن رجل ثري آخر، لا ينفر من تلاعبك».

صمتت قليلاً ثم قالت: «وخذي لوك معك».

فردّت الفرنسية بلؤم متعمد: «إنه عاشق متمرس».

قطبت هانا ساخرة: «وهل تعتقدين هذا؟ يا لغبائك!».

لوّحت كاميل بيدها بشكل وحشي، لكن هانا هذه المرة كانت جاهزة، فتراجعت إلى الوراء لئلا تصيبها الصفعة.

أطلقت هانا بضع شهقات تعجب، قبل أن تحضر رينيه التي تحوّلت قسمات وجهها الرائعة إلى الشراسة من شدّة الغضب.

- لقد قلت ما يكفي كاميل! والآن أخرجي من هنا حالاً.. هناك أمكنة أخرى فيها تسهيلات إذا كنت مضطرة لاستخدامها.

واستدارت إلى ابنتها: «حبيبتي.. هل أنت بخير؟».

- أجل.. شكراً.

ولم تستطع سوى التساؤل عما إذا كان ميغيل هو من أرسل رينيه لإنقاذها.

- تعالي.. دعينا نعود إلى.. الطاولة.

وهزت رأسها: «أنا بحاجة حقاً لأن أنعش نفسي.. قولي لميغيل إنني سأذهب مباشرة إلى مقاعدنا».

قالت رينيه بحزم: «سأبقى معك».

- إذن، سيرسل رجلانا معاً فرقة تفتيش. حقاً أنا بخير.

قالت أمها بارتياب: «حسن جداً.. هل أنت متأكدة؟».

فرغت إحدى غرف الزينة الصغيرة، فدخلتها هانا.. بعد دقائق كانت تقف أمام المرآة لتعيد إصلاح أحمر الشفاه، ثم خرجت إلى البهو.

ولم تكد تخطو خطوتين حتى وجدت ميغيل إلى جانبها. نظرت إليه بثبات وهو يمسك ذراعها وسألته:

- أولاً رينيه، والآن أنت؟
- دقيقة أخرى وكنت سأدخل بنفسي لأحضرك.
- وهل ستدخل مكاناً مخصصاً للنساء؟ كم أنت شجاع.
حذرها بغضب: «لا تدفعيني كثيراً كويريدا».
ولم يكونا في طريقهما إلى المسرح.
- نحن نسير في الاتجاه الخاطىء.
- سآخذك إلى البيت.
- لن تأخذني بحق الجحيم!
ورفضت بعناد أن تتحرك.. وقد لمعت عيناها بنار زرقاء وهي تواجهه: «لن أفوّت بقية المسرحية».
وضمّت قبضتها ولامست صدره: «الطريقة الوحيدة لإخراجي من هنا هي أن ترميني على كتفك وتحملني إلى الخارج!».
علق بين الضحك والغضب، وقال بصوت أجش: «لا تغريني».
انتزعت ذراعها من قبضته، وسارت بمقدار ما يسمح به كعبا حذائها الرقيق المرتفع من السرعة، نحو المسرح.
وصلت إلى الباب المزدوج، وكان إلى جانبها فدخلا معاً إلى القاعة المعتمة، ووجدا مقعديهما واندسا فيهما.
وعلى الفور تقريباً.. ارتفعت الستارة، وبدأ المشهد الثاني.
ركزت هانا على الممثلين وأدوارهم بجهد وعناد في محاولة منها لنسيان أمر كاميل ولوك وزوجها الفريد من نوعه.. ونجحت تقريباً، ثم وقفت مع المشاهدين تصفق لكاتب المسرحية، والممثلين، وللمخرج.
خروج المشاهدين تطلّب وقتاً، وكانت الساعة تقارب الحادية عشرة حين انطلق ميغيل بسيارة الجاغوار عبر شوارع المدينة.. كان رذاذ المطر قد بلل الإسفلت وأخذت هانا تراقب حركة مساحات الزجاج الأمامي مع استدارة السيارة إلى «تورماك رود».

الصداع الذي انتابها في الساعة الأخيرة، بدا وكأنه يزداد سوءاً. وما إن أوقف السيارة داخل المرآب، حتى تركت مقعدها وسبقته إلى داخل المنزل.
وصلا البهو، وزادت حدة نظرته وهو يلاحظ شحوب قسماتها.
- خذي دواءً للصداع، واذهبي إلى النوم.
- لا تقل لي ماذا أفعل.
- كويريدا.. هل تريدين الشجار؟
- أجل.. اللعنة عليك!
- هناك كيس ملاكمة في غرفة الرياضة.. لماذا لا تجربينه؟
إنه يتسلى.. اللعنة عليه.. ونظرت إليه نظرة سوداء: «قد أفعل هذا!».
قال بتكاسل: «أمر واحد فقط.. اذهبي وغيري ملابسك أولاً».
لم تقف لتفكر، بل رفعت ركبتها وخلعت فردة حذاء وضربته بها.
التقطها ميغيل بدقة، ووضعها بحذر على طاولة جانبية، واستدار إليها سائلاً: «أتريدين التجربة مرة أخرى؟».
هذه المرة جربت حقيبة يدها التي طارت في الهواء، وصاحت بغضب وهو يرفعها بين ذراعيه ويحملها إلى الطابق الأعلى.
ضربت هانا كتفيه، ذراعيه، وأي مكان استطاعت أن تصل إليه، وتأوهت بسخط غاضب حين لم تؤثر فيه أبداً.
وصل غرفة النوم ودخلها، ثم رفس الباب وراءه ليقفله، قبل أن ينزلها إلى الأرض.
قال بصوت أجش: «حسن جداً.. هذا يكفي».
فسألت بضغينة: «أتعرف كيف أشعر؟».
- أستطيع القول إن الشعور متبادل.
وأمسك كتفيها ليثبتها: «كفى».

ـ في هذه اللحظة بالذات.. أعتقد أنني أكرهك.

ـ لأنني كنت هدفاً لمخططات جهنمية وضعتها امرأة أخرى.

ـ أريد أن أنام.. لوحدي.

صاح بها صوت صغير: حمقاء.. أنت توجهين غضبك نحو الشخص الخاطىء.. إلا أنها لم تكن تعي ذلك.

وتركها ميغيل ببطء: «إذن، اذهبي إلى النوم».

واستدار ليخرج من الغرفة، وأغلق الباب وراءه بهدوء.

نظرت إلى الباب، وتمنت لو أنه صفقه، لكان هذا منطقياً أكثر.

تقدمت ببطء إلى النافذة، ونظرت إلى الخارج عبر الحديقة المعتمة. كان القمر مرتفعاً، كوكب كبير مستدير أبيض، يرسل إلى الأرض ضوءاً أبيض حالماً، وفي مكان بعيد، نبح كلب، فتردد صوته وسط صمت الليل المطبق.

أغلقت هانا الستائر، ثم خلعت ملابسها ببطء، وأزالت تبرجها. ارتدت قميص النوم الحريري واندست بين الأغطية، وأطفأت المصباح قرب السرير، لتستلقي محدقة في الظلام.. ملأت التخيّلات رأسها، بجلبة مقتحمة.. وغرقت عيناها بالدموع التي زحفت ببطء إلى أذنيها، حتى وصلت إلى الوسادة.

مسحت الدموع، مرتين، ثم أغمضت عينيها بتصميم في محاولة للاستغراق في النوم.

إلا أنها كانت لا تزال صاحية حين دخل ميغيل الغرفة بعد وقت طويل، وسمعته يخلع ملابسه، وأحست بحركة الفراش الخفيفة وهو يتسلل إليها.

توسلت إليه بصمت: ضمني.. لكن الكلمات لم تجد إلى لسانها سبيلاً. وبقيت جامدة، تصغي إلى تنفسه الثابت البطيء الذي تحوّل بعدها إلى تنفس رتيب دلالة على النوم الهادىء. كان من السهل عليها أن تلمسه،

كل ما عليها فعله هو أن تدس يدها لتتلمس دفء جسده.

إلا إنها لا تستطيع فعل هذا. كوني صادقة.. وبخت نفسها بصمت.. أنت خائفة.. خائفة من أن يتجاهل الإشارة والأسوأ، أن يرفضها.

كيف ستشعر عندها؟

لا شك أنها ستدُمر.

* * *

www.elromancia.com

١٠ ـ الحب السيد الوحيد

استيقظت هانا على صوت المياه في الحمام التابع للغرفة، وانقلبت لترى الساعة.. إنها السابعة. نزلت من السرير واختارت ثياباً داخلية نظيفة، وعباءه ثم ذهبت إلى الغرفة الأخرى حيث استحمت وارتدت ملابسها.

كان من السهل عليها أن تتصالح مع ميغيل.. مجرد أن تفتح الباب، وتخطو إلى جانبه كما تفعل كل صباح. عدا أنها اليوم لا تستطيع.. ليس بعد ليلة أمس.

غلطة من هذه؟ سألها صوت ساخر موبخ.

أخذت نفساً عميقاً، ثم عادت إلى غرفتهما لترى ميغيل يرتدي ملابسه.

نظر إليها مطوّلاً نظرة فاحصة، فردت عليها بمثلها.. ثم رمت ثياب النوم على السرير واتجهت إلى غرفة ملابسها الصغيرة لتختار ما ترتديه.

ـ هل ستبقين على هذا الحال مدة طويلة؟

كان صوته متشدقاً، فتجاهلته وهي ترتدي جوارب سوداء شفافة، وتختار إحدى البذلات السوداء التي ترتديها دائماً للذهاب إلى العمل.

حين برزت، كان يقف في طريقها، ونظرت إليه.

حذرها بنعومة: «هانا».

ـ لست حردانة.

ولم تكن تحرد أبداً. فهذا ليس من طبيعتها.

ولا أكرهك.. أضافت بصمت، غير قادرة على قول الكلمات بصوت عالٍ.. يا للسماء.. ما الذي دهاها لتقول مثل هذا القول؟ ردة فعل، توتر غاضب. لكنها كلمات قيلت، ومن الصعب إرجاعها. كما أنها كلما تركت الغضب يغلي أكثر، كلما صعب عليها أن تشرح السبب.

اسودت عيناها وتحولتا إلى عاصفتين: «ماذا تريدني أن أقول؟ أنا آسفة لتصرفي ليلة أمس؟ حسن جداً.. أعتذر».

ـ اعتذار مقبول.

نظرت إليه بحدة: «لا تتسلط عليّ».

حذرها: «أوقفي هذا للتو».

ـ لست طفلة.. اللعنة!

ماذا تفعل بحق السماء؟ إنها تتصرف كقطار لا يمكن إيقافه.

ـ إذن لا تتصرفي كطفلة.

قالت بعناد: «ستعذرني إذا لم أنضم إليك لتناول الفطور.. فسأتوقف عند أي مقهى لآخذ القهوة والكرواسان».

تجاوزته لتدخل الحمام، والتقطت فرشاة الشعر وراحت تسرّح شعرها إلى أن آلمتها جلدة رأسها، ثم وضعت أقل ما يمكن من زينة.

اتسعت عيناها وهي تلمح ميغيل في المرآة وهو يدخل ليقف ورائها، وارتجفت أصابعها واشتدت حول قلم أحمر الشفاه.

أحست وكأنها وتر مشدود على وشك أن ينقطع وهو يديرها لتواجهه.. وأصبحت بلا قوة حين أحنى رأسه نحوها.

قال ميغيل قربها: «هذا.. هذا هو المهم.. ولا شيء غيره».

وعانقها بقوة إلى أن ماد رأسها، ثم تركها ليخرج من الغرفة.

أمسكت هانا الرف الرخامي في محاولة منها لالتقاط أنفاسها.. يا للسماء.. ما بالها؟

لم يكن لديها فكرة كم من الوقت وقفت هناك، لكن بدا لها أنّ دهراً

قد انقضى قبل أن تأخذ حقيبتها، وتدس قدميها في حذاء عالي الكعبين، وتنزل إلى المرآب.

وبعد عشر دقائق، أوقفت البورش ثم قطعت الشارع، واشترت صحيفة يومية، ودخلت المقهى لتنضم إلى العديد ممن يتمتعون بالطعام.

في التاسعة، فتحت المحل وأمضت نصف ساعة على الهاتف تلاحق شحنة من المفترض أن تصل بعد ظهر اليوم الفائت، ولم تصل.

وطوال فترة الصباح، حاولت أن تثبت الابتسامة على وجهها، الأمر الذي أتعبها.. كيف تستطيع أن تتظاهر بالسعادة وهي في الداخل تتحطم إلى ألف قطعة؟

سألتها إيليان بقلق عند منتصف النهار: «هل أنت مريضة؟».

ـ لا.

لوت ابتسامة متسائلة الفم الجذاب: «حامل؟».

ـ لا.

مازحتها إيليان: «تبدين مترددة.. فهل هذا محتمل، لكن الوقت مبكر لتعرفي؟».

هزت هانا رأسها نفياً ببساطة وقالت: «اذهبي لتناول الغداء.. هل يمكن أن تجلبي لي معك سندويش دجاج وسلطة، وزجاجة ماء؟».

أخذت حقيبتها وأخرجت منها ورقة نقدية. اليوم ستأكل في الغرفة الخلفية الصغيرة بدلاً من قضاء نصف الساعة المعتادة في المقهى القريب.

أنهت إيليان عملها في الرابعة، مرّ بعد الظهر ببطء حيث راجعت هانا لائحة البضاعة ثم قامت ببعض الاتصالات الهاتفية.. وجاءت رسالة بالفاكس تعلمها أن طلباً خاصاً سيصل في شحنة ليلية.. وسجلت ملاحظة للاتصال بزبونة.

كانت صورة ميغيل القاسية تلاحقها، كما فعلت طوال فترة الصباح.. إلا أن الأمر ازداد سوءاً الآن. فلا أحد تكلمه، ولا زبونة دخلت

لتسترعي انتباهها، والهاتف لم يرن.

التفكير بالليلة الماضية جعل معدتها تنقبض بشكل مؤلم.. بطريقة ما، شعرت أنّ غضب ميغيل المسيطر عليه أسوأ من اطلاق سلسلة من الشتائم، أو رمي شيء، أو الصراخ بها. فقد حوّل غضبها إلى مجرد تصرف طفولي.. وهذا أمر ضايقها وأغضبها أكثر مما تريد أن تعترف.

ارتفع صوت الجرس، يحذرها أن شخصاً دخل المحل.. فابتسمت ابتسامة دافئة وهي تتحرك من خلف منضدتها.

ـ هانا حبيبتي.

ـ أمي.

كانت رينيه تتصل دائماً قبل زيارتها لكنها لم تفعل هذه المرة، مما جعل جبهة خانا تتجعد في عبوس خفيف.

ـ أعرف.. كان يجب أن أتصل أولاً، لكنني كنت قريبة..

وصمتت.. قبل أن تستطرد: «أتناول الغداء مع صديقة قديمة حبيبتي.. وفكرت أن أزورك لألقي عليك التحية».

عكس صوتها نبرة الحماسة: «يسرني أن أراك».

وقطعت المسافة التي تفصلهما لتطبع القبلة المعتادة على كل خد.

ـ وصلت المناديل هذا الصباح.. وضعت بعضاً منها جانباً، ظننت أنها قد تعجبك. هل تريدين رؤيتها؟

العمل.. لو استطاعت إبقاء الأحاديث على المستوى العملي، فقد لا تلاحظ رينيه ما يعتمل في صدر ابنتها.

ـ أوه.. أرجوك حبيبتي.

أحضرت هانا العلبة وأخرجت ثلاثة مناديل فتحتها فوق رف البيع. كانت من الحرير الخالص، بنقوش رائعة وألوان جذابة.

اختارت رينيه منديلين، ثم تقدمت إلى رف القمصان، واختارت واحداً، ثم عادت إلى المنضدة: «سآخذ هذه حبيبتي».

وشهقت بصوت منخفض، وألحقتها بشتيمة أنثوية: «لا أصدق هذا. لقد تركت محفظتي في السيارة».

قالت هانا فوراً، والقلق يبدو على وجهها: «مقفلة كما أرجو».

- طبعاً مقفلة حبيبتي. والمفاتيح معي.. وأذكر أنني شغلت جهاز الإنذار.

- أين أوقفتها؟

- في هذا الجانب من الشارع، على بعد بضع سيارات.

ومدت يدها بالمفاتيح قائلة: «هلاّ أحضرتها لي؟ لن يستغرق الأمر سوى دقيقة».

لعل الهواء النقي يعدّل مزاجها قليلاً. أخذت هانا المفاتيح واتجهت إلى الباب.

كان الطقس شديد الحرارة في الخارج.. ووهج الشمس لاهباً بعد برودة الداخل المكيف. بضع سيارات يعني أن عليها مواجهة الحرارة الأسوأ وهي تسير بإتجاه سيارة أمها، فرفعت يدها لتظلل عينيها. لكنها وقفت جامدة لرؤية جسم طويل مألوف يقف قرب سيارة رينيه «الليكسوس».

ميغيل.. يبدو مسترخياً تماماً، ومرتاحاً، يخفي تعابير وجهه خلف نظارة شمس سوداء.. إنها وقفة مخادعة، إذ لا شك أن هذه الواجهة الهادئة تخفي قوة مفترسة مشدودة.

جزء منها أراد أن تستدير وتعود إلى المحل.. حيث سيضطران في وجود أمها إلى الحفاظ على المظهر المتمدن. ومع ذلك، رفضت أن تسلك الطريق السهل.. فأي يكن ما يريدان قوله، يجب أن يقال.

لاحظها ميغيل لحظة سوت كتفيها، وشهد الارتفاع الطفيف لذقنها، قرأ بشكل صحيح التعبير في عينيها الزرقاوين الصافيتين.

كان من طبيعتها أن تواجه، وتقرر، وتتحرك إلى الأمام.. وكان يعتمد

على أن تفعل هذا بالضبط.

قالت: «إنها الرابعة والنصف».

سارت الخطوات اللازمة لتصل إلى سيارة أمها، وسألته:

- ماذا تفعل هنا؟

رفع كم قميصه، وتفحص ساعته، ثم التفت إليها: «لقد تجاوز الوقت هذا ببضع دقائق.. إذا كنت تريدين الدقة المطلقة».

لم يتحرك ميغيل من مكانه. واضطرت لأن تقترب أكثر وهي تعطّل جهاز الإنذار، وتفتح الباب وتأخذ حقيبة أمها، ثم تعيد إقفال السيارة.

قال بنعومة: «هل لنا أن نعيد حقيبة رينيه؟».

نظرت إليه نظرة مدروسة: «نحن؟».

أمسك بمرفقها، وشد قبضته وهي تحاول انتزاع نفسها منه، ورد بثبات: «نحن».

- ميغيل..

- هناك طريقة سهلة لنسير إلى المحل.. وإلا سأرفعك على كتفي وأحملك.. فماذا تفضلين؟

اشتعلت عيناها بنار الغضب: «وهل تركت لي الخيار؟».

مرر إبهامه على فمها: «لا».

وتشوّق كفاها لصفعه.

قال بصوت محذر ناعم التف على أعصابها: «لا تفعلي».

ومن دون أيّ كلمة استدارت عائدة إلى المحل، وهي تشعر بقوة كهربائية متفجرة تحيط بهما.

أحست هانا بقوة وجوده، وقربه منها، ورائحة عطر ما بعد الحلاقة، الرائحة النظيفة لثيابه.. ولسوف تشتد قبضته على مرفقها لو حاولت التخلص.

سارا أمتاراً قليلة، ومرا بواجهات أربعة محلات قبل أن يصلا. ولم

تسأله إذا كان ينوي الدخول فقد بدا واضحاً أنه سيفعل ذلك.

توقفت، وقسمات وجهها مشدودة، وعيناها قاتمتان جداً: «هل هناك هدف من هذه الزيارة؟».

ـ أجل.

مدت هانا يدها لتفتح الباب، لكنه انفتح من الداخل، وقالت رينيه وقسمات وجهها هادئة: «آه.. ها أنت، وردت مكالمة هاتفية فسويّت الأمر».

نقلت هانا نظرها من أحدهما إلى الآخر، ثم استقرت على ميغيل، بإرتياب ظاهر.

ـ لقد دبرت كل هذا.

واستدارت إلى أمها: «ألم تفعلي؟».

قالت الأم: «مذنبة».

سألتها هانا بغضب: «لماذا؟».

قال ميغيل: «أحضري حقيبتك.. سنغادر».

قالت رينيه، قبل أن تحتج ابنتها: «سأبقى لأقفل المحل».

ـ لا.

ورمت هانا ميغيل بنظرة حاقدة: «وإذا حاولت إستخدام القوة، سأتصل بالشرطة».

ـ اتصلي.

لزمه ثانيتين ليدس ذراعاً تحت ركبتيها ويرفعها إلى صدره.

تقدمت رينيه بسرعة إلى المنضدة، وفتحت درجاً، أخذت منه حقيبة يد هانا، وأعطتها لميغيل.

أطبقت هانا قبضتها ولكمته بقوة على كتفه، وقالت بحقد: «لن أسامحك على هذا».

استدار وخرج من الباب وسار على الرصيف إلى حيث أوقف سيارته.

فتحها، ووضع هانا في المقعد الأمامي.

في لحظة دار حولها إلى مقعد السائق وجلس خلف المقود.

دار المحرك، في دمدمة هادئة وخرج ميغيل بالسيارة، ثم إتجه نحو السير المتدفق في «توراك رود».

لم تكن هانا تثق بقدرتها على الكلام، فهي غاضبة بما يكفي لثنيها عن الكلام الذي لا معنى له.

بدلاً من ذلك، نظرت إلى الخارج وراحت تراقب السيارات، والناس، والأولاد، وأمهات يضحكن، أو يوبخن. الحركة، الحياة.. في الخارج كان العالم مستمراً في انطلاقته.

في داخلها، لم يبدُ كل هذا حقيقياً. وشعرت وكأنها تنظر إلى المشهد في التلفزيون.

شوارع مألوفة، مواقع مألوفة.. إنها تمر من هنا خمسة أيام في الأسبوع.

لكنها أدركت فجأة أنها لا تصل إلى هذه المسافة: «لقد تجاوزت مفرق الطرق».

ـ لن نذهب إلى البيت.

كان صوته متشدقاً، ونظرت إليه بحذر لترى القوة، والتصميم، باديين على وجهه.

ـ ربما بإمكانك أن تفيدني، إلى أين نحن ذاهبان بالضبط؟

نظر إليها بسرعة: «انتظري لتري».

ردت بغضب: «أوه.. بحق السماء».

وامتنعت عن قول كلمة أخرى.

زادت كثافة السيارات وهما يقتربان من المدينة، وكتمت دهشتها حين أدار ميغيل السيارة إلى مدخل أفخم فندق في المدينة.

فتح لهما الحارس الباب، مما لم يترك لها خياراً، سوى أن تنزل من

المقعد الأمامي.

ماذا يفعلان هنا بحق السماء؟ في فندق، بينما يمتلكان منزلاً فخماً جميلاً لا يبعد خمس عشرة دقيقة من هنا؟ هذا جنون. والأكثر إثارة للعجب كان أن ميغيل رافقها إلى شقة معينة واسعة وأنيقة.

تقدمت إلى النافذة الزجاجية العريضة، وأزاحت الستارة الشفافة لتتطلع إلى المنظر، ثم استدارت ببطء لتواجهه.

كان قد خلع سترته، وعلى وشك أن يفك ربطة عنقه.

قالت: «أنت مدين لي بتوضيح».

تخلص ميغيل من الربطة، وفتح بضعة أزرار من قميصه، ثم تقدم إلى البراد الصغير.

ـ ماذا تريدين أن تشربي؟

كانت غاضبة ومتوترة فردّت: «توقف عن لعب دور السيد المهذب».

توقف، وشعرت بالقوة المكبوتة التي لا وصف لها. ولسبب ما، جعلها هذا تشعر بالقلق.

كان في عينيه تعبير لم تشأ أن تحدده: «وأي دور تريدني أن ألعب.. آمانتي؟».

تذكرت الفولاذ المغلف بالحرير، وكتفت ذراعيها على معدتها في حركة حماية لا واعية، وأكمل: «دور المتوحش؟ زوج يندفع إلى غضب كبير، بحيث لا يكاد يمنع نفسه من خنق زوجته الجميلة؟».

أخرج زجاجة ماء، وفتح الغطاء، وملأ كأساً أعطاه لها. ثم أخرج علبة مرطبات، فتح الغطاء وشرب بعضاً من محتوياتها.

ـ أم ربما عليّ أن أضربك.

رفع علبة المرطبات وشرب منها طويلاً: «صدقيني.. أنا متشوق لأن أفعل الأمرين معاً».

ردت متصلبة: «حاول».

نظر إليها نظرة سوداء طويلة، أرسلت رجفة على طول عمودها الفقري.

ـ لا تدفعيني.

ومن دون تفكير رمت محتويات كأسها في وجهه، وراقبت بذهول لا يصدق، الماء البارد يصل من قسمات وجهه إلى قميصه، ليترك بقعة مبللة، من الصعب تجاهلها.

لم تتحرك، بالرغم من الإحساس الرهيب بالذعر الذي كان يحثها على أن تهرب بعيداً وبأقصى سرعة.

بدلاً من ذلك، وقفت تحملق فيه بتحد صامت.

لم تترك عيناه عينيها وهو يضع علبة المرطبات جانباً، ثم، بحركة بطيئة، خلع القميص، وانتزعه من تحت البنطلون، وتخلص منه برميه فوق مقعد قريب قبل أن يستدير ليواجهها.

بحركات بطيئة متعمدة، أخذ منشفة وأزال البلل من على وجهه، ثم رمى المنشفة على السرير.

كان منظره مثيراً. بشرة سمراء تمتد فوق عضلات قاسية، والشعر الأسود يغطي صدره، ومعدة مشدودة، وخصر رائع.

قالت: «هل انتهيت؟».

ـ هذا يتوقف..

وتقدم منها خطوة.. ووقفت ثابتة.

سخر بها ميغيل بنعومة: «كم أنت شجاعة».

ستكون ملعونة لو توسلت، وخرجت منها كلمة تحذير وهو يقترب منها: «لا تفعل».

لم يلمسها.

ـ لا أفعل ماذا.. حددي؟

فردت بشراسة: «سأقاومك».

ولم تعي أن قبضتيها اشتدتا، أو أن وقفتها تغيرت قليلاً استعداداً للهجوم.

- لن تكسبي.

- يمكن أن أحاول.

وستفعل. الدفاع عن النفس فن تعلمته إلى درجة ما، وعامل المفاجأة إلى جانبها.

رأى الارتفاع البسيط في ذقنها، وتحرك عضلة على أطراف فكها، ورأى النار التي بدأت تقترب من السطح.

- هل تريدين القتال إلى هذا الحد؟

- أجل.

ورأته يدس يديه في جيبي بنطاله.

- إذن.. افعلي ما شئت.

هل تضربه؟ لكل الأوقات التي أرادت فيها هذا، للمناسبات التي فعلت فيها هذا.. لكنه الآن يضع نفسه تحت رحمتها، ووجدت نفسها عاجزة عن أن تفعل.

التقط ميغيل كل تعبير مر بسرعة على وجهها الرائع القسمات.. وحدد بدقة كل واحد منها.

قالت ببطء: «أعتقد أننا بحاجة لأن نتكلم».

- لقد فعلنا هذا.. ولم يحل الكلام شيئاً.

شحب وجهها وهي تتذكر الشجار الذي شهداه صباح هذا اليوم.

- ميغيل..

ومهما يكن ما أراد قوله فقد بقي محجوزاً في حلقها بعد أن عانقها عناقاً زعزع ثقتها وأسسها العاطفية.

لم يكن في عناقه شيء من العقاب.. بل حرارة مكثفة مثيرة، بدت أنها تسلب أعماق كيانها، وتجتذب منها شيئاً كرهت أن تعطيه.

لم تكن ترغب في الاستجابة، يا للسماء.. كيف يمكنها أن تستجيب وهي مجروحة ومتألمة؟

كان وكأنه يحاول أن يصل إلى قلبها الهش الضعيف.. أن يضخ فيه شيئاً ثميناً غير محدود، يعني الكثير.. أكثر بكثير مما تستطيع الكلمات أن تصفه.

كان هناك عناقه.. وذلك السحر المسكر لحرارته ومشاعره.

أزعجتها المسافة التي تفصلهما.. ولزمها إرادة هائلة لئلا تلتصق به.

فهذا، على أي حال، المستوى الوحيد من التواصل الذي يتفقان فيه.

الرغبة الجسدية.. رغبة جسدية عظيمة حقاً. كانت تظن إنها تكفي، حتى أنها تمكنت من إقناع نفسها بأن «الحب» لا يهم.. لكنه مهم، وجزء صغير منها يموت ببطء مع مرور كل يوم.

وتعاظمت المشاعر، تنتشر في جسمها، تملأه بسحر عذب. وحده ميغيل يمتلك القدرة على معالجته.

ارتفعت شهقة خفيفة في حلقها ثم ماتت. حركة صغيرة مكرهة أحس بها أكثر مما سمعها.. وأحس بطريقة ارتفاع يديها، ثم وقوعهما مجدداً وهي تسعى للسيطرة على نفسها، وبدأت ترتجف تحت الثقل العاطفي بسبب مقاومتها له.

أحست باللحظة التي تجاهلت فيه عقلها وتبعت قلبها.. وأحس بأول لمسة مترددة لديها وهما تتسللان إلى كتفيه وتتشابكان معاً حول عنقه.

شيء ما في داخله اهتز بعنف، وسيطرت رجفة عميقة على جسده القوي وهو يشدها إليه.

زاد عمق العناق، وتملكه شوق لا حياء فيه وهو يقودها في الدرب نحو الاحتراق الكامل.

فقدت هانا الاتصال مع الزمن والإحساس بالمكان، في توقها لأن تكون جزءاً منه.. لكنه مد يده يأخذ يدها، ويبعدها بلطف على بعد ذراع

منه.

اتسعت عيناها، وبدتا ضخمتين جداً في وجهها. مترددة، مررت طرف لسانها على شفتيها.. وكانت إيماءة لم يطلبها.. ورأت عينيه تشتعلان، ثم أصبحتا سوداوين بشكل غير معقول.

وضع إصبعه على شفتيها.. وأحست بالارتجاف الخفيف، وأمسك ذقنها.

قال بلطف: «أنت حياتي أماندا.. الهواء الذي أتنشقه، كل شيء».

لاحق أصبعه وتراً نابضاً يصل إلى أسفل عنقها، واستقر فوق النبض المتسارع.

ـ لقد أسرت قلبي.. وكل كياني.

كان في ابتسامته دفء جعل أنفاسها تتقطع: «ودائماً».

لم تعد هانا قادرة على النطق بكلمة واحدة. وأضاف: «منذ البداية، نظرت إليك نظرة واحدة، ولم يعد هناك غيرك.. أنت فقط».

وجدت صوتها بصعوبة: «لكننا..».

ـ تزوجنا لنرضي أهلنا، ولنؤمن بقاء الأعمال في العائلة؟

مرر إبهامه على شفتها السفلى: «هل تصدقين هذا حقاً؟».

ارتجف فمها: «لقد قلت..».

ـ طلبت منك الزواج بي.

ـ لقد ظننت..

وبخها بلطف: «أنت تفكرين كثيراً.. أنا أحبك.. أنت.. وكل شيء هو أنت».

بدأ الأمل يظهر في عينيها، وسألت: «وهل أحببتني؟ منذ البداية؟».

ـ هل تصدقين حقاً أنني رجل من النوع الذي يربط نفسه قانونياً بامرأة؟ وينوي جعلها أماً لأولاده.

وصمت قليلاً ليهز رأسه: «كويريدا.. ألم تعرفيني بعد بشكل أفضل

من هذا؟».

بلى.. تعرفه. أو على الأقل، كانت تظن أنها تعرفه قبل أن تبدأ كاميل لعبتها.

وقالت: «كاميل..».

ـ بالكاد منعت نفسي من أن أخنقها.. أما لوك..

وتصلبت عضلة فكه، ولمعت عيناه ببريق خطير: «إغراء أن أكسر فكه لم يكن بعيداً عن تفكيري».

وتذكرت هانا أنها رأت هذا واضحاً أحياناً.. ولو أنها فكرت لحظتها أن ميغيل يلعب الدور المتوقع منه.

وكاميل؟

قال ميغيل وكأنه يقرأ أفكارها: «صدر أمر قضائي مؤقت باعتقالها يوم أمس.. فأختارت طلب إسقاط الدعوى على أن تختفي من الولاية والبلاد نهائياً، خلال أربع وعشرين ساعة».

كانت كلماته قاسية مقتضبة. ولم تشك هانا في أنه وجه الإنذار بطريقة لا يمكن أن تفشل كاميل في فهمها.

قالت ببطء: «فهمت».

ارتفع حاجبه بمرح: «ماذا فهمت آمانتي؟».

رفعت يدها، ثم تركتها تهبط إلى جانبها: «إلى أين سنذهب من هذه النقطة؟».

ـ الآن؟

أعادها بلطف إلى ما بين ذراعيه، وعانقها ببطء: «سأبقى مع زوجتي».

هز الارتجاف جسمها النحيل، وانطلقت نار حارة في شرايينها.. فأرتفعت حرارة جسمها حتى درجة الحمى.

وأكمل: «وأتأكد من ألاّ يكون لديها عذر بعد الآن في أن تشك في

حبي لها».

قال: «كنت أنوي أن آخذك للعشاء».

- ربما فيما بعد.. ربما في الغرفة.

وحملها إلى الفراش.

***

١١ - أجمل شيء في الدنيا

وتناولا الطعام.. لكن عند منتصف الليل.

كانا قد تمتعا براحة لذيذة فاقت كل شيء تشاركاه من قبل.

تبع هذا حمام ساخن متكاسل، وارتديا كل عباءته واحتسيا العصير اللذيذ وهما ينتظران خادمة الغرف لتحضر لهما العشاء.

بعد أن أنهيا الطعام، تراجعت هانا في مقعدها. هناك أسئلة تريد أن تطرحها.. كلمات تحتاج أن تقولها.. وحثها صوت صغير: الآن.. توليها الآن.

كان هناك خطوط خفيفة جداً عند زوايا عينيه.. وأظهرت قسماته لحية سوداء.

نظرت إليه بحذر، ترى القوة، وهالة السلطة التي تنضح منه. وعرفت أن هذا سيبقى موجوداً دائماً.. ولها.

فكاشفته بصدق هادىء: «أنا أحبك».

ورأت أساريره تلين.

كانت عيناه قاتمتين، قاتمتين جداً.. تعبيرهما صريح مما جعلها تكتم أنفاسها لكثرة المشاعر الظاهرة فيهما، وقال بلطف: «شكراً حبيبتي».

- ولطالما أحببتك.. ولو لم أحبك.. ما كنت وافقت على الزواج

منك.

وابتلعت غصة صغيرة ارتفعت فجأة إلى حلقها: «أنت كل شيء أحتاج إليه».

وأصبحت عيناها لامعتين بالدموع المتلألئة: «أنت حياتي».

هل من الممكن أن يتوقف القلب عن الخفقان؟ وأن تكون المشاعر قوية إلى درجة تقطع القدرة على الكلام؟

وقف ميغيل يشدها إلى ذراعيه، وضاعت هانا.. غرقت في بحر من المشاعر، وتمسكت بكتفيه وهي تستجيب له.

كم من الوقت وقفا هكذا، متعانقين أحدهما، بين ذراعي الآخر؟ فهي لم تعد تتذكر الزمن.

ببطء أبعدها قليلاً، وطبع قبلة على خدها. وتنهدت احتجاجاً، وتأوهت قليلاً حين تركها وسار عبر الغرفة.

راقبته بتكاسل وهو يخرج شيئاً من جيب سترته، ويعود ليدس علبة مجوهرات رقيقة في يدها.

ـ لدي شيء لك.

ـ ميغيل..

ـ افتحيها.

وفتحتها متأنية.. وكبتت لسعة دموع مفاجئة.. ففي غلاف من المخمل عقد متقن الصنع، وقرط مماثل.. إنه أنيق بجمال، يجمع الألماس الزهري والألماس الأبيض، مع الماسة بلون زهري على شكل إجاصة، في أسفل العقد.

همست هانا: «إنها جميلة».

وأحست بالدموع تترقرق في عينيها لتجري فوق كل خد في جدول بطيء، وتتوقف لبرهة على طرفي فكها.

ـ شكراً لك.

ـ دموع.. هانا؟

سؤاله الممازح، جعلها تمسح الدموع عن عينيها وتمرر أصابعها المرتجفة على كل خد.

ـ يبدو أنني لا أستطيع وقفها.

أخرج ميغيل العقد من العلبة ووضعه في مكانه المناسب وثبت المشبك بأمان، ثم مال إليها ليطبع قبلة على جبينها.

واستقرت النجمة تحت تجويف العنق مباشرة، بخطها الوحيد من الالماس الزهري والابيض.

لقد تذكر وهذا أمر هام، وبما أن الوصف لهذه الحلية وصفها، ولم تشر إلى أي شيء آخر رأته، فهذا يعني أنه كلف أحدهم بصنع هذا التصميم خصيصاً.

ـ ألا تريدين رؤية كيف يبدو؟

هزت هانا رأسها، وقالت بنعومة: «إنه أجمل شيء امتلكته في حياتي.. مميز».

وأدركت أنه عرف كم عنت الهدية لها.

مدت يدها إلى المشبك، لكنه أوقف يديها: «ابقيه حيث هو».

ومن دون أن تتفوه بكلمة أخرى، أدنت رأسه إلى رأسها وعانقته عناقاً مثيراً وليس له سوى نهاية واحدة.

فيما بعد، ولوقت طويل، ضمها ميغيل إليه وطبع قبلة على جبينها: «نامي آمانتي.. فغداً يوم آخر».

استيقظت هانا على رنين جرس الباب، وأدخل ميغيل الساقي الذي أوصل الفطور إلى الغرفة.

كم الساعة الآن؟ نظرت بسرعة إلى الساعة قرب السرير، وتأوهت.

الثامنة والربع! يا للسماء.. من المفترض أن تفتح المحل في التاسعة، وتحتاج إلى حمام، وارتداء ملابسها، والذهاب إلى البيت لتغيّر

ثيابها بأخرى نظيفة.. بحركة مسرعة، رمت الأغطية جانباً ووقفت ثم توجهت إلى الحمام..

قال ميغيل بصوت أجش يؤنبها: «أمادا.. على مهلك».

ونظرت إليه بانزعاج.

ـ المحل.. كان يجب أن توقظني..

وبدا متسلياً: «تعالي وتناولي الفطور.. لست ذاهبة إلى أي مكان».

ـ ماذا تعني أنني لست ذاهبة إلى أي مكان؟ لقد تأخر الوقت..

كان في تعبيره الأسمر المتسلي إعجاب دافىء، وبسرعة أخذت عباءة، ودست كميها في كميه وضمت الأطراف الحريرية معاً.

مد يده، وأمسك يديها، وشدها إلى جانبه.

احتجّت ساخطة: «ميغيل.. لا وقت لدينا..».

ـ بلى.. معنا وقت.

ـ لا.. ليس معنا وقت.

ومررت أصابعها في شعرها المشعث، وقامت بجهد لتحرر يدها.

إلا أنه لم يترك لها فرصة.. فعناقه لها كاد يحطم إرادتها. لكنها انسحبت بعيداً عنه، بعد أن سمح لها بهذا.

كان يعرف أن باستطاعته نزع الحرير عن كتفيها وإعادتها إلى الفراش..

قال: «ستفتح رينيه المحل هذا الصباح».

وجمدت، تنظر إليه متفحصة: «لماذا؟».

قادها إلى الطاولة حيث وضع الساقي فطورهما: «اجلسي لنأكل».

ـ لن أفعل شيئاً إلى أن تقول لي ماذا يجري.

قال بسهولة: «حسن جداً.. من المقرر أن نستقل الطائرة بعد بضع ساعات».

وجمدت أكثر، واتسعت عيناها وهي تنظر إليه: «ماذا قلت؟».

مد ذراعه ودفعها بلطف إلى الأمام، لتجلس على كرسي ثم جلس في المقعد المقابل.

ـ سمعت ما قلت.

ـ كيف؟

نظر إليها متسلياً: «بالطريقة العادية كما أتصور».

ـ أعني، كيف لنا أن نسافر بسرعة هكذا؟

ـ فوضي أحداً عنك.

ـ لا أستطيع..

ـ بلى.. تستطيعين.

وشرب نصف كأس عصيره دفعة واحدة.

ـ ستعود سندي إلى العمل يوم الاثنين، وستدير المحل بمساعدة إيليان، وستأتي رينيه في الساعة الرابعة من كل يوم لإقفال المحل.

ـ لكن..

ـ الدنيا كما نعرفها لن تنتهي لو نلنا قسطاً من الراحة.

إنه على حق.. لن تنتهي.. لكن هذه مفاجأة.. غير متوقعة.

أخذت هانا رشفة عصير برتقال، ثم أخرى: «إلى أين سنذهب؟».

ـ إلى هاواي.

أوه.. يا إلهي.. هل يمتلك قدرة على قراءة الأفكار؟ وتخيلت الرمال البيضاء، البحر الأزرق، والأمواج المتلألئة، أشعة الشمس، والسكون.. أيام كسلى، ليال طويلة متكاسلة.. إنها الجنة.

وبالكاد سألت: «إلى متى؟».

ـ أسبوع في هونولولو، وأسبوع في مادي.

سألت: «هونولولو؟».

ولدت ابتسامة بطيئة حلوة على شفتيها.. مادي.. إنها أجمل الأماكن وأكثرها سحراً.

ولمعت عيناها بالسؤال: «حقاً؟ اليوم؟».

تحرك فمه بتسلية ساخرة: «لا تنظري إلي هكذا.. وإلا لن نخرج من هذا الجناح كما لن نلحق برحلة محددة الموعد».

ضحكت هانا، ضحكة خفيفة من القلب، التفت حول قلبه واعتصرته قليلاً: «أنعتقد هذا».

مد يده ووضع إصبعه على شفتيها: «الفطور كويريدا».

ـ حسن جداً.

رفعت يدها تعد على أصابعها: «همم.. رحلة في الطائرة تستغرق تسع ساعات».

ولمعت عيناها ببريق شيطاني: «هذا يعطيني الوقت الكافي لأخطط بالضبط كيف أنوي مكافئتك».

وتولاه إغراء أن يتخلى عن الفطور: «وقحة!».

ـ أمر مؤسف أننا سنضطر إلى الذهاب إلى البيت لتجهيز حقائبنا.

ـ لا.. لسنا مضطرين.. فحقائبنا في صندوق السيارة.

لم تستطع كبت ابتسامة شك: «وهل وضبت لي ثيابي؟».

قال بوقار مرح: «جئت بمقدار ما أنت بحاجة إليه. وأي شيء آخر يمكنك شراءه هناك».

وأكمل بتكاسل: «إضافة إلى هذا، لن أدعك ترتدين الكثير من الثياب معظم الوقت».

مالت هانا عبر الطاولة، وضغطت إصبعاً على شفتيه: «حسن جداً.. لدي أخبار لك آمانتي.. أريد أن أسبح، وأستلقي في الشمس، وأذهب في نزهات طويلة، وأقرأ. كما أن عشاء لذيذ بين زملاء من الموجودين هو مطلب أساسي لي».

ولمعت عيناها لتكتسبا بريق التوباز الأزرق: «لو وضعتَ ملابس داخلية في الحقيبة، فسنواجه متاعب جدية».

ـ حاولي.. بذلة سهرة، فستان أو اثنين، بنطلونات قصيرة، بضع قمصان، بيكيني، أحذية..

وصمت.. ثم فتح فمه وعض إصبعها بأطراف أسنانه مداعباً قبل أن يتركه.

سخرت بلطف: «الطعام».

وبدأت بالتهام الفاكهة، تبعها التوست والقهوة.

ولحقا بالطائرة، ولم يكن أمامهما سوى دقائق. وزعت هانا اهتمامها بين صفحات قصة بوليسية غامضة رائعة، والأفلام المعروضة.

كان الوقت متأخراً حين حطت بهما الطائرة في هونولولو، ومع حلول منتصف الليل وصلا الفندق.

كان الجناح الفخم في طابق مرتفع، يطل على منظر رائع لشاطىء «وايكيكي». وتقدمت هانا إلى الواجهة الزجاجية، وفتحت الأبواب المؤدية إلى الشرفة.

دخل نسيم لطيف من المحيط، وملأت الجو رائحة البحر المنعشة.. كانت الأنوار المتلألئة تحدد الأرض التي تمتد كالقوس نحو رأس «دايموند هيد».

تقدم ميغيل منها، وشبك ذراعيه حول خصرها، ليستريح ذقنه على قمة رأسها وهي تميل نحوه إلى الخلف.

تمتمت بصوت منخفض: «المنظر ساحر».

وبدت لها ميلبورن، منزلها، وكاميل، بعيدين جداً.. وكأنه حلم مزعج استفاقت منه لتوها، وأكملت: «شكراً لك».

ـ على ماذا بالضبط؟

ردت ببساطة: «لإحضاري إلى هنا».

وأضافت صامتة، لقيامك بعمل إيجابي، لإيمانك بي.. وبنا.

ضغطت يدا ميغيل عليها قليلاً، وخفض رأسه، ليعانقها.

ـ من دواعي سعادتي.

قالت ببطء، وهي تشعر بالحرارة تنتشر في جسمها: «لقد توصلت إلى قرار.. إذا وافقت».

قال ممازحاً: «هل تطلبين مني، أم تقولين لي؟».

وأحس بتسارع ضربات قلبها، والطريقة التي يتراوح بها جسدها بين ما تريد، والاستسلام.

ـ فكرت..

وصمتت، ثم سحبت نفساً سريعاً بعد أن تحركت يداه تداعبانها.

سأل: «همم؟ بماذا فكرت كوبريدا؟».

ـ لعل فترة ما بعد عيد الميلاد، وقت مناسب لترقية سندي.

ـ قرار حكيم.

ـ وأعتقد أنني سأستبقي إيليان على أساس نصف دوام، لمجرد المساعدة.

قال بتكاسل: «أعتقد أن هذا يقود إلى مكان ما؟».

ردت بابتسامة ناعمة: «الأطفال.. ما رأيك بعائلة خاصة بنا؟».

أحس وكأن شخصاً لكمه في معدته.. ولد؟ وسرح تفكيره إلى البعيد، إلى ملاك أشقر يعكس صورة أمه، أو ربما صبي أسمر يدفع أمه إلى الجنون بمزاحه الطفولي.. يا إلهي.. هانا ثقيلة الوزن لحملها طفلاً؟ ثم الولادة.. وشحب وجهه لفكرة مواجهتها للألم.

ـ هل أنت واثقة من هذا؟

التفتت بين ذراعيه لتواجهه: «وأنت.. ألست واثقاً؟».

وبحثت في أساريره في الضوء الخفيف، ولمحت شيئاً ظاهراً لم تستطع وصفه.

قال بحماس: «لا أستطيع التفكير بأي شيء مميز أكثر، منك، يمكن أن تهديني إياه».

أحست هانا بالرجفة الخفيفة التي سرت في جسده الضخم، ولفت ذراعيها حول خصره تشده إليها أكثر، وقالت مداعبة: «ربما يجب أن ندخل، ونتدرب قليلاً..».

وأفلتت ضحكة دافئة منخفضة من حنجرتها: «إضافة إلى هذا، لدي مكافأة خاصة أقدمها لك».

ودخلا معاً ثم أقفلا باب الشرفة وأنزلا الستائر.

هذا هو عالمهما الخاص.. فكرت هانا بهذا وهي تدخل إلى الحمام.

خلال الأيام القليلة التالية، استمتعا في لعب دور السواح، فركبا الباص المخصص للسواح، واستأجرا سيارة ليموزين ليوم واحد طافا فيها الجزيرة كلها.

في منتصف الأسبوع، طارا إلى «مادي» وأمضيا فيها ستة أيام رائعة من الاسترخاء، في فندق يقع على الشاطىء مباشرة ويطل على المحيط. وقضيا أياماً حلوة يسيران على الشاطىء، يتكاسلان تحت أشجار النخيل يقرآن ويصغيان إلى الموسيقى من الراديو الصغير، وسبحا في المحيط، وفي بركة السباحة في الفندق. لعبا التنس، وتعشيا في مطاعم عدة، قبل أن يعودا إلى جناحهما.

كان ميغيل يستيقظ في الصباح الباكر ليستخدم المنضدة الصغيرة مدة ساعة، ويتفحص هاتفه الخلوي كل مساء قبل الخروج إلى العشاء، كوسيلة اتصال بعالم الأعمال في الخارج.

ولم تمانع هانا، كان يكفيها أنهما معاً في جزء مثالي رائع من العالم.

لدى عودتهما إلى هونولولو، اشتريا ثياباً من محلات فخمة.. وقالت هانا ممازحة وهي تضيف كيساً آخر ملوّناً، للأكياس التي يحملها ميغيل بتساهل:

ـ هذا هو علاج البيع بالمفرق.

اختارت هدايا لرينيه وكارلو وإستبان، إضافة إلى شيء من أجل

سندي وإيليان.

سأل ميغيل وهي تخرج من محل آخر: «هل انتهيت؟».

ـ ليس تماماً.

كانت تبحث عن شيء محدد: «لا أعتقد أنك ستقبل بحمل هذه الأكياس إلى الفندق، ومنحي ساعة إضافية للتسوّق وحدي؟».

ـ ما من فرصة.

ـ حسن جداً.. لكن هناك شروط.

لمعت عيناه، وتحرك فمه ليشكل ابتسامة متساهلة: «وما هي هذه الشروط، كويريدا؟».

رمقته بنظرة مشعة وهي ترفع يدها وتبدأ بالعد على كل أصبع بدوره: «لن تسألني عن أي متجر أدخله. وستبقى في الخارج، ولن تنظر عبر زجاج الواجهة.. لن تدخل المحل تحت أي ظرف كان».

رفع رأسه قليلاً، ونظر إليها مفكراً: «ما عدا إذا جرت عملية سطو.. أو كان هناك رجل يحاول محادثتك».

ابتسمت له ابتسامة مرحة: «همم.. يبدو هذا منصفاً».

بدت في السادسة عشرة من عمرها، بشعرها المقصوص عند مؤخرة عنقها، والنظارة الشمسية على قمة رأسها. وكان تبرجها أقل ما يمكن، وبشرتها تلمع بلون ذهبي عسلي خفيف. وقد ارتدت بنطلوناً قصيراً من القطن، وقميصاً. فلم تبدُ أنها زوجته.

لكنها نور حياته، سبب عيشه، إنها مخلوق يشكر الله بامتنان عليه كل يوم. ولم يكن يعتقد أنه من الممكن أن يتخلى عن حياته من أجل إنسان آخر.. لكنه تخلى عن حياته لها، وفي جزء من الثانية.

وقفت هانا خارج محل فخم، واستدارت إليه قائلة بتعبير جاد: «تذكر.. لقد وعدتني؟».

ـ اذهبي آمانتي.

وذهبت.. واهتم بها بائعان شابان، شرحت لهما ما تريد، وأشارت إلى سلسلة الأسعار فانقلب اهتمامهما فوراً إلى الاحترام.

صرفت وقتاً في الاختيار.. ولزمها وقتاً أطول لإقناعهما بأن يجعلا أحد الحرفيين يحفر نقشاً كتابياً، وساعدها في هذا رشوة كبيرة.

طلبت أن يوضع ما اشترته في علبة مخملية جميلة، وأن تلف بورق هدايا، وأخرجت بطاقتها المالية الخاصة، ثم خرجت عبر الباب الزجاجي المزدوج بابتسامة رضى.

كان هذا آخر مساء لهما في هذه الجنة الجميلة. فتناولا العشاء في مطعم فاخر في «بينك بالاس» أو القصر الزهري في هونولولو. كان الطعام لذيذاً، والعصير رائعاً، والمنظر في الخارج المطل على المحيط المعتم، وفّر خلفية هادئة.

وأطالا المقام معاً.. كل منهما يكره أن ينهي الأمسية. فقريباً يجب أن يعودا إلى جناحهما، ويستدعيا الحمّال لينزل حقائبهما إلى قسم الاستقبال.. ومن هناك ستوصلهما سيارة أجرة إلى المطار كي يلحقا بطائرة منتصف الليل التي ستعود بهما إلى الوطن.

قدم لهما الساقي القهوة، وبينما كان ميغيل يوقع على الإيصال، أخرجت هانا علبة الهدية ووضعتها على الطاولة.

قالت بلطف مع ابتعاد الساقي: «هذه لك».

ونظر إليها ميغيل ملياً لثوان قبل أن يمد يده ليأخذ اللفافة.

فتح الشريط المذهب، وأزال الختم. وانتزع الورقة، ثم فتح العلبة.

في الداخل، وفي فراش من مخمل وجد ساعة جيب ذهبية مع سلسلتها.

ـ هانا..

ـ هناك نقش على ظهرها.. اقرأه.

وراقبته يأخذ الساعة ويقلبها ليقرأ ما نقش على ظهرها: «ميغيل..

قلبي وروحي . . هانا» .

تنفس : «يا إلهي» .

وفقد القدرة على الكلام مؤقتاً . وقالت بصوت منخفض : «في الداخل مكان لصورة» .

صورة ستتغير من سنة إلى أخرى ، مع إضافة جديدة إلى عائلتهما .

ـ غراتسياس أمادا .

ووقف على قدميه واستدار ليعانقها .

ومعاً ، غادرا المطعم وعادا إلى جناحهما . أمامهما رحلة طويلة ، ولا وقت لديهما بعد ليهدراه .

قال ميغيل بلطف وهو يضمها : «حياة واحدة لا تكفي» .

همست : «لا تكاد تكفي» .

وشدت رأسه إليها .

رنين جرس الهاتف المستمر ، تسبب في ابتعادهما عن بعضهما البعض على مضض . . والتقط ميغيل السماعة وأصغى ، ثم قال بضع كلمات مختصرة .

قال بما يقارب الندم : «الحمّال في طريقه إلى هنا ، والسيارة تنتظر» .

والتوى فمها بابتسامة دافئة .

ـ سنكون في بيتنا غداً .

ـ هذا لن يساعدني الآن أبداً .

انطلقت ضحكة خفيفة من شفتيها : «الصبر . . كويريدو . . إنه جيد للروح» .

أحنى رأسه وعانقها بلطف مثير : «سأذكرك بهذا لاحقاً» .

كان أمامهما بقية حياتهما . . ومعاً سوف يجعلان لكل يوم وزنه . . وإلى الأبد .

الخاتمة

ولدت اليكسيتا كاثلين سانتاناس بعد أحد عشر شهراً وثلاثة أسابيع وأربعة أيام . . وكانت فرحة لأمها ، ورعاها والدها بمحبة عمياء .

وحضرت العائلة ، والأصدقاء المقرّبون حفل العمادة ثم عادوا إلى منزل ميغيل وهانا في توراك ليقدموا التهاني ويشربوا نخب صحة الملاك الأشقر الشعر ، وسعادتها المستقبلية .

أشرقت الشمس مشعة ذلك اليوم ، وارتسمت السعادة في كل زاوية بينما الجميع يحتفل بالمناسبة .

غادر الضيوف باكراً ذلك المساء ، وكانت الساعة تقارب التاسعة حين دخلت هانا غرفة الأطفال لتطعم ابنتها .

كان يوماً ساحراً . . فكرت هانا بهذا وهي تغير ثياب اليكسيتا وتتحضر لتضعها على صدرها لارضاعها . . إنها طفلة هادئة . . عدا تلك اللحظات حين تطلب الغذاء أو تحتاج تبديل حفاظها . إنها جائعة الآن ، وأخذت قبضاتها الصغيرة تضرب برقصة مهتاجة قبل أن تصمت لترضع بقوة .

نظرت هانا إلى القسمات الصغيرة المكتملة ، وإلى البشرة الرقيقة ، وأحست بقلبها ينبض بفخر الأمومة . إنها حقاً أجمل شيء صغير ، هدية ثمينة .

وقررت حالمة : أي فرق يمكن لسنة أن تفعله . لقد سافرت مع ميغيل إلى روما ، وطافت في إيطاليا ، وأمضت وقتاً في الأندلس . . سندي الآن تتولى إدارة المحل ، بمساعدة إيليان .

وقررت أن الحياة حلوة جداً .

ـ كيف حالها؟

كانت هانا مستغرقة في أفكارها بحيث لم تنتبه لدخول ميغيل الهادىء إلى الغرفة . رفعت رأسها لتبتسم له ابتسامة تمسكت بقلبه وجعلته يخفق

بقوة وسرعة أكبر.

هل تعرف كم يحبها؟ لا يمكن إلا أن تعرف. وتقدم إلى جانبها، ووقف يراقبها وهي تنهي رضاعة ابنتهما، وتعطيها له لتتجشأ.

بعد دقائق وضع اليكسينا بحذر في مهدها، وغطاها، ثم ضم هانا إلى جانبه وهما يقفان ليراقبا نوم ابنتهما الهادىء.

قال ميغيل بنعومة: «إنها جميلة.. مثل أمها تماماً».

استدار حين أسندت هانا رأسها على صدره ومرر شفتيه على جبينها: «حان الآن دورنا.. كويريدا».

ردت بخبث: «همم.. يبدو هذا مثيراً للاهتمام».

ورفعت رأسها تنظر إليه: «ماذا يدور بخلدك؟».

شغل جهاز مراقبة الطفلة، ثم قادها إلى غرفة نومهما.

ـ أنوي إسعادك.

ـ أوليس هذا، من جانب واحد قليلاً.

وعانقها بشغف، فردت عليه بالمثل، وقد جرفها مد الشوق وهو يدفعها بلطف إلى الفراش.

***